قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩].

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن هذا القرآن مأدبة اللّه فخذوا منه » رواه الدارمي.

مقدمة المحقق

تمهيد :

نحمدك الله حمدًا يوافى نعمك ويكافئ مزيدك ، ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائك وصفوة خلقك سيدنا محمد ، وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الهداة الراشدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم إنا نبرأ إليك من الحول والطول، ونسألك التوفيق لما ترضاه من العمل والقول، ونعوذ بك أن نتكلف ما لا نحسن ، أو نقول ما لا نعلم ، أو نمارى فى الحق ، أو نجادل عن الباطل ، أو نتخذ العلم صناعة أو الدين بضاعة .

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ (١).

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

يطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية بعامة كتاباً من أنفس الكتب فى فنه ألا وهو« فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية » من علم التفسير للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى .

أما عن المؤلف : فهو عملاق من عمالقة الإسلام ، ومفكر ألمعى ، له فى دنيا المعرفة صولات وجولات، وغواص ماهر، كان دائما يغوص فى بحار الكتب وفى أعماق المؤلفات، يفتش عن الجواهر المكنونة، والكنوز المدفونة، وعالم من علماء التفسير استطاع بكتابه هذا أن تكون له بصمات مضيئة على جبهة التاريخ،التى دائما ترصد أعمال العباقرة،وتسجل أفكار المبدعين.

يصفه أحد رجالات الفكر قائلاً :

« كان إماما يعول عليه ، ورأسًا يرحل إليه ، فريدًا فى عصره ، ونادرة لدهره ، وقدوة لغيره ، بحرًا فى العلم لا يجارى ، ومفسرا للقرآن لا يبارى ، ومحدثا لا يشق له غبار ، ومجتهدًا لا يثبت أحد معه فى مضمار » .

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٢) الحشر : ١٠ .

أما عن الكتاب : فيعتبر أصلاً من أصول التفسير، ومرجعًا مهمًا من مراجعه ؛ لأنه جمع بين التفسير بالرواية ، والتفسير بالدراية .

التفسير بالرواية ــ والذى يسمى : « التفسير بالمأثور» ــ وهو يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن ، وما كان تفسيرا للقرآن بالسنة ، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقوف على الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ وبعض المروى عن التابعين .

والتفسير بالدراية ــ والذى يسمى : « التفسير بالرأى » ــ وهو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفة الألفاظ العربية،ووجوه دلالتها، وخبرته بالشعر العربى ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم،ثم الموهبة وهى علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم قال الله تعالى: ﴿ **واتَّقُوا اللَّهَ ويُعَلِّمكم اللَّهُ**(١) ﴾، وقال الرسول صلىَّ الله عليه وآله وسلَّم:«من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم».

قال صاحب البرهان : « اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحى ، ولا تظهر أسراره وفى قلبه بدعة ، أو كبر، أو هوى، أو حب دنيا » .

قال الله تعالى : ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**(٢) ﴾ .

قال ابن عيينة : أنزع عنهم فهم القرآن .

والإمام الشوكانى ــ رحمه الله ــ حباه الله ــ سبحانه وتعالى ــ بكل ذلك ، فكان هذا التفسير الذى جمع بين صدق الرواية ، وعمق الدراية .

وإذا كان ذلك كذلك ، فيطيب لنا أن نقدم بين يدى القارئ فى هذه المقدمة النقاط الآتية :

١ - الحالة السياسية فى عصر الشوكانى .

٢ ــ الحالة العلمية فى عصر الشوكانى .

٣ ــ التعريف بالإمام الشوكانى .

٤ ــ حياة الشوكانى العلمية وجهاده فيها .

٥ ــ التدريس ، والإفتاء ، والقضاء .

٦ ــ التعريف بشيوخه وتلاميذه.

٧ ــ مؤلفاته .

٨ ــ منهج الشوكانى فى التفسير.

٩ ــ عملنا فى هذا الكتاب .

ونرجو من الله العلى القدير أن يعيننا على ذلك،وأن يلهمنا الرشد والصواب،إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٢) الأعراف : ١٤٦ .

الحالة السياسية فى عصر الشوكانى

الباحث المدقق فى حياة اليمن السياسية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، يرى أن اليمن كانت تعيش فى حالات من القلق والاضطراب الدائم ، والفتن المستمرة ، والثورات التى لا ينطفئ لهيبها ؛ وذلك لسببين :

أولهما : النزاع المستمر، والمصادمات التى تسيل فيها الدماء وتزهق فيها مجموعة من الأرواح والتى كانت تقام بين الأسرة الحاكمة ورؤساء العشائر والقبائل من آونة لأخرى .

ثانيهما : طمع كثير من الدول الكبرى فى اليمن ومحاولة الاستيلاء عليها ، باعتبارها لقمة سهلة يمكن ازدرادها بسبب كثرة التناحر بين أبنائها والمتطلعين إلى الوثوب فى الحكم فيها.

من ذلك أن أوربا أعدت العدة، وجيشت الجيوش الكثيرة لاحتلال جنوب الجزيرة العربية.

ثم فكرت الدولة العثمانية فى غزو اليمن لأسباب تكاد تكون غير معروفة عام ٩١٥هـ، فأعدت العدة ، وجيشت الجيوش بقيادة سليمان باشا لتلك الحملة ، وسارت السفن الحربية حتى رست فى جزيرة قمران قرب الحديدة ، بأمر السلطان سليمان بن سليم العثمانى . وقضت تلك الحملة وما بعدها من حملات على جميع السلطات باليمن حاشا الدولة الزيدية ، واستمرت الحرب بين الدولة العثمانية ، وبين الأئمة الزيدية، إلى أن انتهت فى عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين عام ١٣٣٥هـ .

ولقد كانت هناك مكاتبات ومعاهدات بين الدولة العثمانية والأئمة الزيدية ، انتهت بإيقاف الحرب بعد أن أفنت القوة الضاربة فى اليمن الكثير من جيوش الدولة العثمانية على أرض اليمن حتى أطلق عليها بعض المؤرخين : مقبرة الغزاة .

ولكن مما يؤلم النفس ويجرح القلب ، أن الدولة العثمانية المسلمة عندما فكرت فى ترك دولة اليمن سلمت منطقة عدن إلى القوات البريطانية والتى ساعدها ذلك على استعمار المنطقة كلها ، ثم أشاعت الفرقة والخلاف بين أبناء الوطن الواحد ، الأمر الذى أدى إلى تقسيم اليمن إلى شطرين ، والذى يعرف اليوم باليمن الجنوبية ، واليمن الشمالية . ولقد كان فى عصر الشوكانى علاقات جوار طيبة بين دولة اليمن ودولة الأشراف فى مكة وتهامة .

وكان بين الدولتين المتجاورتين رسائل ومكاتبات للتعاون بينهما فى مجال السياسة والاقتصاد، ومحاربة العدو المشترك. واستمر الوضع على ذلك حتى أرسل محمد على باشا ــ والى مصر فى ذلك الوقت ــ جيشا كثيفا استولى به على مكة وغالب الجزيرة العربية .

والمرء يعجب من ذلك ويحاول أن يبحث عن المبررات والأسباب التى أوجدت هذا التقاتل. لقد كانت سيوف المسلمين مشرعة للخارج، وكانت تلك السيوف لها غاية وتعمل

لهدف، وهو نشر دين الله،والدعوة إلى توحيد الخالق المبدع ، وكان لتلك السيوف دورها الكبير في أربعة أركان الأرض ، فما بال تلك السيوف التي كانت بالأمس عامل إيمان وإسلام قد تحولت على ساحة اليمن إلى عوامل هدم وتدمير ونزاع وشقاق بين أخوة الدين والعقيدة ؟!

ولقد سجل الشوكاني ، بقلمه الفذ وعقله الألمعي ، الكثير من المواقف المبكية المضحكة في آنٍ واحد على صفحات كتابه :« البدر الطالع »، والحق يقال : إنه وثيقة حية يجب أن يعيها المسلمون في كل أرض ومصر حتى لا يكونوا طعمة للذئاب . . . فهل تراهم يسمعون ؟! نرجو من الله ذلك .

الحالة العلمية فى عصر الشوكانى

يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: « أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوبًا وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية » (١) .

لقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهل اليمن بالحكمة ، ووصفهم فى حديث آخر بالأمانة ، ولقد كانوا هكذا فى عصر النبوة ؛ جاؤوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتفقهوا فى الدين ، ويأخذوا القرآن ، ويتعلموا سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عادوا إلى بلادهم لنشر العلم وتفقيه غيرهم امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** ﴾(٢) ، حتى أصبحت اليمن كعبة لحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومدرسة كبرى لتدريس السنة والتفقه فى أمور الدين. ومن العلماء الأئمة الأجلاء الذين ذهبوا إلى ساحة اليمن: محمد بن إدريس الشافعى، وأحمد بن حنبل، وابن المبارك، وابن معين، ومحمد بن يحيى النيسابورى، وإسحاق بن راهويه وغيرهم كثير.

ثم ماذا . . ؟

تحولت هذه القلعة الحصينة إلى ساحة مباحة لكثير من المذاهب الهدامة وغيرها من المذاهب المعتدلة ، فكان يعيش على أرض اليمن فى عصر الشوكانى : الزيدية أتباع زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ وكان الشوكانى فى بداية أمره على مذهب الزيدية .

وأيضا كانت المعتزلة أتباع واصل بن عطاء ، والأشاعرة أتباع الأشعرى ، الذى يتصل نسبه بأبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذى ينتسب إلى الأشعريين باليمن، والذى قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم . .؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة». ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: الأشعريون.

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله ، ذكرت أقواما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا. .؟ فأعاد عليهم ما ذكره فى خطبته : «ليعلمن قوم جيرانهم أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا ».

فقالوا: يا رسول الله، أنفطن غيرنا ؟ فأعاد عليهم ما قاله ، فقالوا : يا رسول الله ، أمهلنا

(١) الحديث رواه الترمذى فى فضائل أهل اليمن . (٢) التوبة : ١٢٢ .

سنة ، فأمهلهم [١] ، وقرأ عليهم قول الله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [٢] .

وكان على أرض اليمن الباطنية: وهى فرقة تدعى أنها من الشيعة، ظاهرها التحلل وباطنها الكفر الصراح ، تؤول نصوص القرآن الكريم حتى يتوافق مع ما تدعو إليه ، وتشكك فى الأحاديث المروية عن طريق أهل السنة والجماعة وتستبيح المحرمات ، وتستحل سبى المسلمات من غير فرقتهم ، وتكفر الصحابة إلا القليل منهم .

وهذه الفرقة عاش أصحابها فى العراق فترة ، وكانوا يطلقون عليهم أسماء عدة ، فهم الباطنية مرة ، والقرامطة أخرى، والمزدكية ثالثة، وكانوا يسمون بخراسان : تعليمية وملحدة .

ويقال بأن تعاليم هذه الفرقة دخلت إلى اليمن سنة ٢٩١هـ ، حيث بعث ميمون القداح إلى اليمن اثنين من دعاته ، فلما وصلا إليها أظهرا الزهد والورع والتقشف حتى مال الناس إليهما ، وقصدهما العامة من كل مكان للتبرك بهما ، وجمعوا لهما المال ، وعظم شأنهما ، وأظهرا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحصنا الحصون ، وبنيا القلاع ، وبدءا بتنفيذ الخطة ، واستوليا على اليمن بأسره إلا القليل منه .

ولما تم لهما ما أرادا أظهرا مذهبهما الخبيث، ويقال بأن على بن الفضل ــ أحد الرجلين اللذين أرسلهما ميمون القداح ــ أظهر الكفر البواح فى بعض ما يقوله من الشعر ، من ذلك :

خذى الدف يا هذه واضربى ... وغنى هزا ربك ثم أصربى
تولى نبى بنى هاشم ... وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضر شرعه ... وهاتى شريعة هذا النبى
أحل البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حل الصبى
قد حط عنا فروض الصلاة ... وحط الصيام فلم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى ... وإن أمسكوا فكلى واشربى [٣]

إن هذه الأبيات تدل على الكفر البواح، وعلى الارتداد عن الإسلام بالكلية، لقد حارب الخليفة أبو بكرالصديق الذين امتنعوا عن أداء الزكاة وقال كلمته المشهورة:«والله لو منعونى عقالاً كانوا يعطونها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحاربتهم عليه». فما بالك بهؤلاء الذين يرفضون كل تعاليم الإسلام وينصبون لهم نبيا جديدا بعد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: « أنا خاتم النبيين ولا نبى بعدى ». وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [٤]؟!.

---

(١) راجع : أضواء على البحث والمصادر للمحقق . (٢) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .
(٣) راجع : الإمام الشوكانى مفسراً للدكتور محمد حسن الغمارى :ص ٤٢ بتصرف .
(٤) الأحزاب : ٤٠ .

وكان يعيش على أرض اليمن أيضاً جماعة المتصوفة . والتصوف إذا كان الهدف منه تصفية النفس وتطهيرها عن طريق ما شرعه الله تعالى لعباده وأوحى به لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم من كثرة النوافل والعبادات ، فهذا لا غبار عليه ؛ لقوله تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه : « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، وإن استعاذنى لأعيذنه» .

إذا كان التصوف هو تجنب الحرام ، وأداء التكاليف والتوكل على الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، نقول: إذا كان ذلك كذلك ، فنعم العبد الذى يأخذ نفسه بهذا ، ولكن واقع الأمر فى عصر الشوكانى أن تحول التصوف إلى التحلل من التكاليف الشرعية ، والتقرب إلى الأموات بالنذور، وأن يطلب منهم النفع والضر، والإحياء والموات . وهذا الشىء خارج عن نطاق الإسلام .

وهؤلاء كان لهم فى اليمن باع طويل ، ودولة وصولجان،فندد بهم الشوكانى، وطالب العامة بالانفضاض عنهم بعد أن كشف لهم زيفهم وضلالهم ، ثم وضع لهم كتابه « قطر الولى » فارقا فيه بين التصوف وأدعياء التصوف ، ولا شك أن هذه الاختلافات الكثيرة ، والفرق المتعددة التى كانت تعيش على أرض اليمن ، دفعت العلماء إلى شحذ قرائحهم وشرع أقلامهم للدفاع عن دين الله الحنيف، فكانت حركة علمية ناهضة وسوقا للمعرفة رابحة ، الأمر الذى دفع الإمام الشوكانى إلى نزول الميدان وخوض هذه المعمعة الضارية ، بالتعليم مرة ، وإصدار الفتاوى أخرى ، والحكم الصارم على هؤلاء المارقين مرة ثالثة ؛ فإذا خلا إلى نفسه تناول قلمه ، وأخذ يؤلف ويجتهد ويخرج للأمة الإسلامية لب الشريعة ، وحقيقة الدين ، ويطالبهم بالسير على الصراط المستقيم حتى يكونوا جديرين بقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (١) .

(١) آل عمران : ١١٠ .

التعريف بالإمام الشوكانى

١ ــ نسبه ومولده :

هو محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ثم الصنعانى . والشوكانى نسبة إلى هجرة شوكان ــ قرية بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم ــ وهى نسبة والده ، والصنعانى نسبة إلى صنعاء عاصمة اليمن .

ولد بهجرة شوكان ــ كما سجل والده ــ فى وسط نهار يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ١١٧٣هـ(١) .

وقد ترجم الشوكانى لوالده : على بن محمد بن عبد الله ، وانتهى بنسبه إلى أحد زعماء اليمن فى عهد الإمام الهادى إلى الحق : يحيى بن الحسين بن القاسم الرسمى ويسمى : «الدعام» ، وأشار الشوكانى إلى أن الهادى ذكره فى إحدى خطبه على أنه من أنصاره الذين أعانوا على قدومه إلى اليمن. ثم يتتبع هذا النسب فى مظانه المختلفة حتى يصل به إلى أرحب، ثم إلى بكيل ، ثم أخيراً إلى آدم عليه السلام .

٢ــ نشأته وطلبه العلم :

نشأ كما ينشأ أترابه بمدينة صنعاء ــ إحدى العواصم العربية ــ والتى كانت مركزاً من مراكز المعرفة ، وقلعة يهفو إليها طلاب العلم ، وكيف لا تكون كذلك ، وهى موطن الملوك الصيد، ومملكة بلقيس الملكة المحنكة والسياسية البارعة ، والتى ما كادت تقرأ خطاب سليمان ــ عليه السلام ــ وينطق لسانها بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » حتى أظعنت إليه ، ووقفت بين يديه، وأعلنت إسلامها ، والإقرار بتوحيد خالق الأرض والسموات ، قال الله تعالى حاكياً قولها : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢) .

على هذه الأرض الطيبة ، وبين الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء والخضرة اليانعة الممتدة أمام البصر ، والتى تغطى مساحات كبيرة من هذا البلد المعطاء ــ عرفت قدماه السير فى دروبها ، ولم تنعم طفولته كثيرًا باللهو واللعب ، ولكنها كانت طفولة جادة متفتحة ، فعرف الطريق إلى المسجد مبكرًا ليجلس مع لداته وأترابه فى مسجد صنعاء الجامع ، يقرأ القرآن ، ويستظهره على يد أحد مشايخها ، ولم يمض وقت طويل من عمر الزمن على الطفل الطلعة ، حتى حفظ القرآن الكريم ورتله .

وكان والده فى ذلك الوقت قاضى صنعاء ومن العلماء البارزين فيها ، يمتاز بالصلاح والتقوى ، عادلا فى أحكامه فقيهًا واعيا وعلى دراية كاملة بعلوم الشريعة . فلمس النجابة فى

(١) راجع : البدر الطالع ١/ ٤٨١ .
(٢) النمل : ٤٤ .

ابنه والذكاء فى عقله، فأخذ ينحله النصيحة ، ويقدم له خلاصة علمه وتجاربه، وقدم له مكتبته التى جمعها فى سنوات عمره الطويلة ، وكانت مكتبة الوالد حافلة بكل المعارف والفنون ، فعكف عليها حافظاً لمتونها ، وفاحصاً ومنقبا عن جواهرها .

ولقد كان الشوكانى فى المرحلة الأولى من حياته متفرغا تفرغا كاملا لطلب العلم ، ولم يكن هناك عائق يشغله عن طلب العلم . أما متطلبات الحياة وتكاليف المعيشة فكان الوالد متكفلاً بها بالكامل . وكان فى حياته الدراسية لا يكتفى بدراسة الكتاب مرة ، بل يتتبع بالكتاب الواحد عدداً من الأساتذة حتى يستفرغ ما عندهم من علم ، كما فعل بكتاب «شرح الأزهار » الذى قرأه على أربعة من العلماء أحدهم والده وآخرهم شيخ شيوخ الفروع فى وقته الإمام أحمد بن محمد الحرازى والذى لازمه الشوكانى ـ كما يقول عن نفسه ـ ثلاثة عشر عاماً وتخرج على يديه.

ولم يكتف الشوكانى بشيخ أو بعدة شيوخ ، ولكنه كان دائما باحثا ومنقبا عن البارزين من علماء عصره ، والمتخصصين فى مختلف العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ، والرياضية والفلكية ، وكان يلازمهم ملازمة كاملة حتى يستفرغ كل ما عندهم من علم ، فإذا عاد إلى منزله عكف على مكتبة والده مقارناً بين ما كتبه العلماء السابقون وما يسمعه مشافهة من العلماء الدارسين.

والذى يقرأ ما كتبه عن نفسه فى طلب العلم، وما استوعبه من كتب ومؤلفات ، يشعر للوهلة الأولى أن الشوكانى درس دراسة واسعة واطلع اطلاعا يندر أن يحيط به غيره من معاصريه . وليس من المستطاع فى هذه المقدمة أن نقدم بين يدى القارئ ثبتا بكل ما درسه من كتب ، أو استجازه من مراجع ، ومن يرجع إلى كتابه « إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر » يدرك مدى ما كان عليه هذا الرجل من تنوع فى الثقافة ، واتساع فى فنون المعرفة . الأمر الذى جعله عالم عصره، وفارس ميدانه.

وإذا كان ذلك كذلك ، فيطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على حياته العلمية وجهاده فى هذا المضمار .

حياة الشوكانى العلمية وجهاده فيها

قلنا آنفا : ومن يرجع إلى كتابه « إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر» يدرك مدى ما كان عليه هذا الرجل من تنوع فى الثقافة ، واتساع فى فنون المعرفة ، الأمر الذى جعله عالم عصره ، وفارس ميدانه .

عندها أخذ يفتش فى مجتمعه فى اليمن،وكذلك فى بلاد المسلمين من حوله دارساً وباحثاً ومنقباً وراصدا لمعتقدهم إزاء الإسلام وأهله .

وأسلمته المقدمات إلى النتائج التى تتمثل فى الجمود المغيم ، والتقليد الموجه الذى يسوق أبناء الأمة الإسلامية إلى حالة من الفوضى القاتلة المنبثقة من التقاليد البالية والشعبذات المريضة، التى أبعدت الناس عن صفاء العقيدة وجعلتهم يلهثون خلف كل دجال يدعى أن فى القبور من يخلصهم من مشاكلهم ، ويحقق لهم السعادة والهناء. أو بليد الإحساس يدور فى فلك الحواشى والتعليقات ، وبعضهم سار خلف أدعياء العلم الذين جمدوا على آراء السابقين ، واتخذوا التشيع عقيدة ، والتصوف ــ المنحرف ــ منهجًا ومسلكا .

فرفع « الشوكانى » معول الهدم لتحطيم هذه المعتقدات البالية ، وكسح هذه الترهات المتعفنة ، ووضع أمام أبناء الأمة الإسلامية ــ على أنقاض هذا الهدم ــ العلاج النافع والشفاء العاجل ، وذلك بالعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وأفرغ منهجه هذا منهج الإصلاح فى كتابه العظيم :« الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل» [١] .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى أن الشوكانى قال للأمة الإسلامية : إن البلاء لاينزل على البلاد إلا بسبب المعاصى التى يرتكبها أهلها. ومن هنا كانت وصية عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ للجيش المحارب قائلاً : « آمركم بتقوى الله على كل حال ، فإنها أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، وإلا ننصر عليهم بفضلنا وديننا لم نغلبهم بقوتنا[٢] » .

ويقول الشوكانى : « فقد سلط الله على المسلمين طوائف من عدوهم عقوبة لهم ، حيث لم ينتهوا عن المنكرات ، ولم يحرصوا على العمل بالشريعة المطهرة ، كما وقع من تسليط

(١) تم طبع هذا الكتاب فى مكتبة النهضة بالقاهرة.

(٢) راجع : كتاب « هذا هو الطريق » للمحقق : ص ٢٧ . ط . دار اللواء ، الرياض .

الخوارج ، ثم تسليط القرامطة ، والباطنية ، ثم تسليط الترك ، وكما يقع كثيراً من تسليط الفرنج ونحوهم »[١] . ثم نراه يصنف أفراد الأمة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ أتباع الحاكم وحاشيته وجنده .

ب ــ سكان البادية والقرى .

جـ ــ سكان المدن والحضر .

أما القسم الأول ، فيقول عنه :« رعايا يأتمرون بأمر الدولة ، وينتهون بنهيها ، وأكثر هؤلاء لا يحسنون الصلاة، فمنهم من تركها كلية، ومنهم من أداها بطريقة غير مقبولة، وكذلك الصيام، فربما لا يكمِّل شهر رمضان صوماً إلا القليل، وكثيراً ما يأتى هؤلاء بألفاظ كفرية كالحلف بالطلاق، والحلف بالخروج من الدين، والاستغاثة بغير الله تعالى من نبى أو رجل من الأموات[٢] » .

هذه هى حال الطائفة الأولى : منهم من ترك الصلاة التى هى عماد الدين والتى قال عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» ، ومنهم من سها عنها ولم يقم بها كما أمر الله تعالى فوقع تحت قوله تعالى :﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾[٣] .

والقسم الثانى:« الذين لم يسكنوا المدن، وهؤلاء الأمر فيهم أشد وأفظع، فإنهم جميعاً لا يحسنون الصلاة ولا القراءة ، وبالجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الإسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندهم ، بل كلمة الشهادة قد ضاعت من ألسنتهم فضلاً عن قلوبهم ، وسط الانشغال بأوليائهم من أصحاب القبور، ومن يدعون الصلاح فيهم » .

إن هذا القسم هم المسلمون عن طريق الميراث ، أو بعبارة أوضح : مسلمون عن طريق شهادات الميلاد ، أما عن التكاليف التى شرعها الله فتكاد تكون معطلة بالكامل فى هذا المجتمع الذى أوشك أن يعود إلى ما كانت عليه الجاهلية الأولى ، والتى كانت تنحصر تكاليفها فى الطواف حول الأصنام وتقديم القرابين إليها ، وتلقى الأوامر من الكهنة وأدعياء الألوهية المزيفة.

والقسم الثالث :« وهم الساكنون فى المدن ، فهم لايحسنون أركان الصلاة ، ويتعاملون فى بيعهم وشرائهم بطرق يخالفون فيها المسلك الشرعى ، وكثيراً ما يقع منهم الربا ، ويتكلمون بالألفاظ الكفرية ، وينهمك كثير منهم فى معاصى صغيرة وكبيرة ، ومع ذلك فهم أقرب الناس إلى الخير، وأسرعهم قبولاً للتعليم إذا وجدوا من يعزم عليهم بعزيمة مستمرة ودائمة» [٤].

---

(١) رسالة الدواء العاجل : ص ٦٥ ، ضمن مجموعة طبع السنة المحمدية.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٦ . (٣) الماعون : ٤ ، ٥ .

(٤) رسالة الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل: ص ٧٠ .

ثم ماذا بعد هذا الأمر الذى عم وطم ــ كما يقال ــ لقد أعد للأمر عدته ، وقرر أن إلى المجتمع آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، وموضحاً للأمة الإسلامية تعاليم دينها ، ومطالباً لها بالعودة إليه ، بعيداً عن ضلال المضلين وتزييف المزيفين وتهويمات المغالين. وبدأ عمله ذلك بتوجيه النداء والنصيحة إلى حاكم المسلمين باعتبار أنه المسؤول المباشر عن الرعية . فقال: « والواجب على إمام المسلمين وعلى أعوانه تفقد هؤلاء ، والبحث عن مباشرتهم وعن كيفية معاملتهم ممن يتولون عليهم . . » .

ثم يختم هذه الرسالة قائلاً :

« والله المأمول أن يلهم إمام المسلمين ــ أقام الله به أركان الدين ــ القيام بما أرشدناه إليه فى هذه الرسالة، وإبلاغ الجهد فى أحوال هذه الأحكام التى ذكرناها، فإنه إن فعل ذلك صلحت له أحوال الدين والدنيا ودفع الله عن رعاياه كل محنة، ولم يسلط عليهم عدواً قط كائناً من كان»[١].

يقول الدكتور إبراهيم هلال : ويمكن أن نتبين أبعاد هذه الحياة العلمية العملية فى ثلاثة خطوط بارزة :

١ــ دعوته إلى الاجتهاد ونبذ التقليد .

٢ــ دعوته إلى العقيدة السلفية فى بساطتها أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة ــ رضوان الله عليهم.

٣ــ دعوته إلى تطهير العقيدة وتنقيتها من مظاهر الشرك الخفى[٢] .

وإذا كان ذلك كذلك، فيطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على جهاده فى هذه الميادين الثلاثة.

دعوة الشوكانى إلى الاجتهاد ونبذ التقليد :

إن الإمام الشوكانى بدعوته إلى الاجتهاد أراد أن يخرج الأمة الإسلامية من جمودها الذى كانت تعيش فيه ، ويوقظها من سباتها ومن عكوفها على آراء فئة من العلماء اجتهدوا لعصرهم، وأخذوا من كتاب ربهم ومن سنة نبيهم ما يتلاءم مع حياتهم ومتطلبات ظروفهم .

والشوكانى يرى أن لكل عصر ملابساته ، وما يجد فيه من معاملات ، وما يحدث فيه من أعراف تقتضى تعديل الأحكام الاجتهادية لتتلاءم مع الأوضاع الجديدة ؛ ولذلك قال الإمام مالك ــ رضى الله عنه ــ : « تحدث للناس فتاوى بقدر ما أحدثوا » [٣] . وقال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ــ : « تحدث للناس أقضية على قدر ما أحدثوا من الفجور » [٤] .

---

(١) رسالة الدواء العاجل فى العدو الصائل : ص ٧٢ .

(٢) راجع : مقدمة كتاب: ولاية الله والطريق إليها .تحقيق د . إبراهيم هلال : ص ٨ .

(٣) راجع : السياسة الشرعية مصدر للتقنين : دكتور عبد الله القاضى : ص٢٨٤.

(٤) المرجع السابق : ص ٢٨٥ .

وإذا كان ذلك كذلك ، فما هو الاجتهاد فى عرف فقهاء الإسلام . . ؟

يرى الإمام الآمدى فى كتابه « الإحكام » : « أن الاجتهاد هو بذل الجهد للوصول إلى الحكم الشرعى من دليل تفصيلى من الأدلة الشرعية » (١) .

ويشترط فى المجتهد شروطاً من أهمها :

أ ــ علمه باللغة العربية وطرق دلالتها .

ب ــ علمه بالأحكام الشرعية التى جاء بها القرآن الكريم وبالآيات التى نصت على هذه الأحكام ، وعلمه بالسنة النبوية وبالأحكام التى وردت بها السنة النبوية ، وعلمه بدرجة هذه السنة من الصحة أو الضعف فى الرواية .

جـ ــ وأن يكون على دراية بالقياس ، ويعرف المسالك التى مهدها الشارع لمعرفة علل أحكامه ، ويكون خبيرا بأحوال الناس ومعاملاتهم ، إلى غير ذلك من الشروط التى تطلب فى مظانها .

ولكن الإمام الشوكانى : يرى أن المجتهد لايحتاج إلى كل هذه الشروط ، فنراه يقرر قائلاً : « والذى أدين الله به أنه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ما يفهم به كتاب الله بعد أن يقيم لسانه بشىء من النحو والصرف وشطر من مهمات كليات أصول الفقه فى ترك العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز أو السنة المطهرة ، ولا يحل التمسك بما يخالفه من الرأى سواء كان قائله واحدا أو جماعة أو الجمهور» (٢) .

وإذا ادعى المقلدون أن الله تعالى تفضل على السابقين من الصحابة والتابعين بالعقل الراجح والموهبة الكبيرة ، الأمر الذى جعل لديهم القدرة على استنباط الأحكام والاجتهاد فى شرع الله ، نراه يشجب هذه المقالة مبطلاً هذا الادعاء بقوله : « قد ادعوا أن الله قد رفع ما تفضل به على من قبلهم من الأئمة من كمال الفهم وقوة الإدراك ، والاستعداد للمعارف ، وهذه دعوى من أبطل الباطلات ، بل هى جهالة من الجهالات ، فإن نهاية العالم ليست كبدايته ، بل هو سائر فى طريق التطور والكمال والنضج العقلى عن طريق ازدياد المعارف وتطورها » (٣) . ويقول أيضا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾(٤) : «وهذه الخصلة ـ التقليد ـ هى التى بقى بها اليهودى على يهوديته والنصرانى على نصرانيته والمبتدع على بدعته ، فما أبقاهم على هذه الضلالات إلا لكونهم وجدوا آباءهم فى اليهودية والنصرانية والبدعية . . . وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص ، فيا من نشأ على مذهب من هذه المذاهب الإسلامية أنا لك النذير المبالغ فى التحذير من

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ٤/ ١٦٢ ، وعلم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف : ص ٢١٨ .

(٢) راجع : البدر الطالع ٢/ ٨٤ ومابعدها نقلاً من كتاب ولاية الله : ص١٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٢ .

(٤) الأعراف : ٢٨ .

أن تقول هذه المقالة وتستمر على هذه الضلالة ».

ثم يقول: « ولوكان محض رأى أئمة المذاهب وأتباعهم حجة على العباد لكان لهذه الأمة رسل كثيرون متعددون بتعدد أهل الرأى المكلفين للناس بما لم يكلفهم الله به، وإن من أعجب الغفلة وأعظم الذهول عن الحق اختيار المقلدة لآراء الرجال مع وجود كتاب الله ووجود سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ووجود من يأخذونهما عنه ووجود آلة الفهم لديهم وملكة العقل عندهم»(١).

ولقد وضع لهذه الغاية ــ الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد ــ العديد من المؤلفات منها : «أدب الطلب ومنتهى الأرب » الذى يقول فيه :

يا غارقين بشؤم الجهل فى بدع ونافرين عن الهدى القويم هُدوا
ما باجتهاد فتى فى العلم منقصة النقص فى الجهل لاحياكم الصمد
لا تنكروا موردا عذبا لشاربه إن كان لابد من إنكاره فردوا

وكتابه :« القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد » وكتابه :« السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» والذى قال عنه ـ أثناء إعداده ـ : « وهذا الكتاب إن أعان الله على تمامه فسيعرف قدره من يعترف بالفضائل وما وهب الله لعباده من الخير» .

وكتابه : « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » ، والذى قال عنه : « فإنه لما شاع على ألسن جماعة من (الرعاع) اختصاص سلف هذه الأمة بإحراز فضيلة السبق فى العلوم دون خلفها ، حتى اشتهر عن جماعة من أهل هذه المذاهب الأربعة تعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون . . . حدانى ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغنى خبره إلى عصرنا هذا .

ليعلم صاحب تلك المقالة أن الله تعالى ــ وله المنة ــ قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف ، بل ربما كان فى أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظره من أهل العصور المتقدمة كما سيقف على ذلك من أمعن النظر فى هذا الكتاب » (٢) .

وبعد : هل نجح الشوكانى فى دعوته إلى الاجتهاد ؟ وهل استجاب لدعوته عامة الأمة وعلمائها ؟ إن الإجابة على ذلك يوضحها حال الأمة الإسلامية فى عالمنا المعاصر ، وما تفرزه العواصم الإسلامية من خلل واضطراب فى كثير من دواوينها ومؤسساتها ، والله المستعان .

---

(١) راجع : فتح القدير : سورة الأعراف آية رقم ٢٨ . (٢) راجع : مقدمة البدر الطالع ١/ ٢، ٣ .

دعوة الشوكانى إلى العقيدة السلفية:

لقد دعا الشوكانى إلى الرجوع إلى عقيدة السلف ، ولكن قبل أن نتعرف على منهجه فى الدعوة إلى ذلك ، ما موقفه من علماء الكلام . . ؟

هل كان له موقف واضح محدد منهم كالموقف الذى وقفه قبله الإمام مالك ؟ حيث رفض منهجهم وعاب سلوكهم، وأوصى أصحابه بالبعد عنهم قائلا: « إياكم والبدع». قيل: يا أبا عبد الله وما البدع . . ؟ قال : « أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »[١] .

وهل يتفق الإمام الشوكانى مع الإمام الشافعى فى حكمه الذى أطلقه على علماء الكلام حيث قال :« حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، وينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام» ؟[٢].

وأخيراً : ما رأى الشوكانى فى طرق ومناهج المتكلمين ؟

يرى الإمام الشوكانى:« أن طرق المتكلمين لا توصل إلى يقين ، ولا يمكن أن تصيب الحق فيما هدفت إليه ؛ لأن معظمها قام على أصول ظنية لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل، والفرية على الفطرة ، فكل فريق منهم قد جعل له أصولاً تخالف ما عليه الآخر ، وقد أقام هذه الأصول على ما رآه عنده هو صحيحاً من حكم عقله الخاص المبنى على نظره القاصر، فبطل عنده ما صح عند غيره ، وقاسوا بهذه الأصول المتعارضة كلام الله ورسوله فى الإلهيات ، وما يتصل بها من العقائد ، فأصبح كل منهم يعتقد نقيض ما يعتقده الآخر، وكل منهم يزعم أن العقل يقتضى ما يعتقده ، وحاشا العقل الصحيح السالم عن تغير ما فطره الله عليه أن يتعقل الشىء ونقيضه ، فإن اجتماع النقيضين محال عند جميع العقلاء . فكيف تقتضى عقول بعض العقلاء أحد النقيضين ، وعقول البعض الآخر النقيض بعد ذلك الاجتماع ؟ وما هذا الأمر إلا الغلط البحت الناشئ عن العصبية » .

ثم يقول :« ثم جعلوا هذه الأصول معيارا لصفات الرب تعالى ، فأثبتوا لله تعالى الشىء ونقيضه ، ولم ينظروا إلى ما وصف الله به نفسه ، وما وصف به رسوله » .

ثم يقول : « وإن كنت تشك فى هذا ، فراجع كتب الكلام ، وانظر المسائل التى قد صارت عند أهله من المراكز، كمسألة التحسين والتقبيح ، وخلق الأفعال وتكليف ما لايطاق ، ومسألة خلق القرآن ، فإنك تجد ما حكيته لك بعينه» [٣].

وما قاله الشوكانى فى تلك الطائفة قاله الغزالى من قبله عند وصفه لهم فى كتابه« فيصل

---

(١) راجع : تمهيد لتاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبد الرازق : ص ١٥٥، ط . ثالثة ١٩٦٦ .

(٢) راجع : تلبيس إبليس لابن الجوزى ، وصون المنطق والكلام للسيوطى ، ومقدمة كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للمحقق ، ط . دار اللواء : ص ٢٩ .

(٣) راجع : كتاب : كشف الشبهات : ص٢٢ ، ٢٣ .

التفرقة بين الإسلام والزندقة »: « من أشد الناس غلواً وإسرافاً طائفة من المتكلمين كفَّروا عوام المسلمين وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتهم ، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم التى حرروها فهو كافر» .

فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولاً، وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة من المتكلمين ، ثم جهلوا ما تواتر من السنة .

ثانيا: إذا ظهر لهم فى عصرالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصرالصحابة ــ رضى الله عنهم ــ حكمهم بإسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ، ولم يشتغلوا بعلم الدليل، ولو اشتغلوا به لم يفهموه، ومن ظن أن مدرك الإيمان ــ الكلام ــ والأدلة المحررة والتقسيمات المرتبة فقد ضيق حد الإيمان. بل الإيمان نور يقذفه الله فى قلوب عبيده»[١].

ولم يكتف أبو حامد بهذا الكلام ، بل يقدم الدليل على صدق ما يقول ويتجه إلى صدر الإسلام حيث مجالس الرسول وصحابته فيقول: جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم جاحدا منكرا له فما وقع بصره على وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا و رآه يتلألأ بأنوار النبوة فنطق قائلاً : والله ما هذا بوجه كذاب . وسأله أن يعرض عليه الإسلام فأسلم .

وجاء آخر إليه عليه الصلاة والسلام، وقال: أنشدك الله. آلله بعثك نبيا ؟ قال عليه السلام: « إى والله ، الله بعثنى نبياً» فصدقه بيمينه وأسلم .

وهذه وأمثالها ،أكثر من أن تحصى،ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعلم الأدلة، بل كان يبدو نور الإيمان بمثل هذه الأشياء فى قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا تزال تزداد إشراقاً بمشاهدة تلك الأجوبة السديدة وتلاوة القرآن الكريم وتصفية القلوب . يقول الإمام الغزالى : « فليت شعرى متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو عن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ أن قالوا لمن جاءهم مسلماً : الدليل على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الأعراض ، وما لا يخلو عن الحوادث حادث ؟

إن ذلك لم يحدث قط ولم يتواتر عن أحد منهم،إن علم الكلام لم يأمربه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولاتناوله الصحابة من بعده حتى قال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ ناهياً عن ذلك: «لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خيرله من أن ينظرفى علم الكلام» [٢] .

والشوكانى الذى يدعو إلى عقيدة السلف أو مذهب السلف فى العقيدة لايقلد أحدا فى دعوته تلك وإنما يفعل ذلك عن اقتناع بما يدعو إليه بعد معايشته للمذاهب الكلامية، ومدارسته للمدارس الفلسفية ، وما أفرزته هذه المدارس من طلاسم وألغاز فترة ليست قصيرة من عمر الزمن ، يقول الشوكانى مؤكداً هذه الحقيقة : « ولتعلم أنى لم أقل هذا تقليداً لبعض من أرشدك إلى ترك الاشتغال بهذا الفن كما وقع لجماعة من محققى العلماء ، بل قلت هذا بعد

(١) راجع : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة لأبى حامد الغزالى تحقيق الدكتور سليمان دنيا: ص ٨٩ .
(٢) المصدر السابق : ص ٨٩، وراجع : مقدمة الرد على الجهمية والزنادقة للمحقق : ص٣١ ، ٣٢ .

تضييع برهة من العمر فى الاشتغال به ، وإحفاء السؤال لمن يعرفه ، والأخذ عن المشهورين به، والإكباب على مطالعة كثير مختصراته ومطولاته ، حتى قلت عند الوقوف على حقيقته من أبيات منها :

وغـايـة مـاحصلتـه من مبـاحثى ومن نظرى من بعد طول التـدبـر
هو الوقف مابين الطريقين حيرة فما علم من لـم يلـق غير التحيـر
على أننى قد خضت منه غماره ولـم أرتـض فيه بـدون التبحر [١]

وما قاله الشوكانى عن علم الكلام قاله من قبله أبو المعالى الجوينى : « لقد خليت أهل الإسلام وعلومهم الظاهرة وركبت البحر الأعظم ،وغصت فى الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهربا من التقليد،والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق». وكان يقول لأصحابه: « يا أصحابنا ،لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغلت به».

ويروى عن أحمد بن سنان قال :« كان الوليد بن أبان الكرابيسى خالى ، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحدا أعلم بالكلام منى ؟ قالوا : لا. قال : فتتهمونى ؟ قالوا : لا. قال : فإنى أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا : نعم . قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنى رأيت الحق معهم » [٢] .

دعوة الشوكانى إلى تطهير الاعـتـقاد :

جاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم برسالة التوحيد ،توحيد الخالق ، فلا إله إلا الله ، وتوحيد العقيدة ، فلا دين إلا الإسلام ، وتوحيد البشرية « كلكم لآدم وآدم من تراب ».

وجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتحرير الوجدان البشرى،تحريره من الخارج فما لأحد عليه غير الله من سلطان،وما من أحد يميته أو يحيه إلا الله،وما من أحد يملك ضرا ولا نفعا،وما من أحد يرزقه من شىء فى الأرض ولا فى السماء،وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع: ﴿**وقالَ ربُّكُمُ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[٣]،وقال: ﴿**وَإذا سألكَ عبادي عَنّي فإني قَريبٌ أُجيبُ دعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعان**﴾[٤] .

والله وحده هو الذى يستطيع والكل سواه عبيد :﴿ **وهُوَ القاهرُ فوقَ عباده** ﴾ [٥] .

وإذا كان ذلك كذلك ، فلابد من إخلاص العبادة له فلا يشرك معه غيره،ولايطلب الدعاء من أحد سواه ، قال تعالى: ﴿ **فلا تَدْعُوا معَ اللّه أَحَدًا** ﴾[٦] ،وقال أيضا: ﴿ **لهُ دَعْوَةُ الْحَقّ والّذين**

(١) راجع : التحف فى مذهب السلف : ص ٥٤، وكشف الشبهات: ص٢٣ ، ٢٤.
(٢) راجع : تلبيس إبليس لابن الجوزى :ص ٨٤ ، ٨٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٦٠، ومقدمة الرد على الجهمية والزنادقة للمحقق : ص ٢٧ ، ٢٨ .
(٣) غافر : ٦٠. (٤) البقرة : ١٨٦.
(٥) الأنعام : ١٨. (٦) الجن :١٨ .

يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾[١]، وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] .

فالخوف على الرزق لا يصدر ممن يقول: لا إله إلا الله ، قال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٣] ، وقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ [٤] .

والخوف على الجاه ، والخوف على المنصب ، والخوف على الوظيفة ليس داخلا فى دائرة لا إله إلا الله ، قال تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٥] ،وقال أيضاً: ﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [٦] .

هذا هو المعتقد الذى دان به المسلمون الأول ، دانوا بكلمة التوحيد ، كلمة لا إله إلا الله ، آمنوا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ورفضوا كل الألوهية المزيفة التى كانت تعبد فى الجاهلية الأولى كالشمس والقمر ، والكواكب والنجوم والجن والبشر ، والأوثان والأصنام ، عندها خرجوا إلى الدنيا والظلام شامل والجهل حاكم والعقائد زيف وأباطيل ، فمدنوا الدنيا ، وهذبوا العالم ، وقرروا أن لا إله إلا الله .

وجاء الشوكانى فوجد المجتمع الإسلامى فى عصره يقترب من الجاهلية الأولى عن طريق :

أولا : الشرك الخفى :

الذى يتمثل فى رفع القباب وتجصيص القبور ، والاعتقاد أن أصحابها بيدهم النفع والضر والإحياء ، والإماتة ، وأن التقرب إلى هؤلاء الأموات وتقديم القرابين إليهم من الدين الحق الذى أمر به الإسلام ، متجاهلين قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد»[٧] .

وأيضاً الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال: قال لى على ـ رضى الله عنه ـ : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفا إلا سويته [٨] . وأيضاً ما جاء فى الصحيح عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٩] ، قال: هذه أسماء رجال من قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون عليها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم يعبدوا حتى إذا هلكوا ونسى العلم عبدت . وقال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم [١٠] .

---

(١) الرعد : ١٤ . (٢) إبراهيم : ١١ . (٣) الذاريات: ٢٢ .
(٤) التوبة: ٢٨ . (٥) آل عمران : ٢٦ . (٦) المؤمنون: ٨٨ .
(٧) رواه الإمام البخارى فى صحيحه . (٨) رواه الإمام مسلم فى صحيحه . (٩) نوح : ٢٣ .
(١٠) راجع : الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد : ص ١١ ، والدرارى المضيئة للشوكانى ١/ ٢٤٨ .

ثانياً: أدعياء التصوف :

وأدعياء التصوف لهم دور كبير فى تعطيل شرع الله وإيهامهم العامة أن الإنسان إذا وصل إلى درجة من الصفاء سقطت عنه التكاليف الشرعية ، وهؤلاء أخطر الأبالسة على شرع الله ؛ لأن الإمام الجنيد ـ رأس الطائفة المتصوفة ـ يقول : « إذا رأيتم الرجل يطير فى الهواء ويمشى على الماء ولا يؤدى التكاليف الشرعية فهو شيطان رجيم » (١) .

ويطيب لنا أن نسوق رأى الإمام الغزالى فى قوم أرادوا أن يتركوا التكاليف الشرعية من صلاة وصيام بحجة أنهم وصلوا إلى درجة الصفاء والطهر وليسوا معه فى حاجة إلى إقامة التكاليف .

يقول الإمام الغزالى : ومثل هذا الرجل المنخدع بهذا الظن مثل رجل بنى له أبوه قصرا على رأس جبل ، ووضع فيه شجرة من حشيش طيب الرائحة، وأكد الوصية على ولده مرة بعد أخرى ألا يخلى هذا القصر من هذا الحشيش طول عمره ، وقال : إياك أن تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار إلا وهذا الحشيش فيه . فزرع الولد حول القصر أنواعاً من الرياحين وطلب من البر والبحر أوتاداً من العود والعنبر والمسك وجمع فى قصره جميع ذلك من شجرات كثيرة من الرياحين الطيبة الرائحة ، فانغمرت رائحة الحشيش لما فاحت هذه الروائح فقال : لا شك أن والدى ما أوصانى بحفظ هذا الحشيش إلا لطيب رائحته. والآن قد استغنينا بهذه الرياحين عن رائحته فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيق علىَّ المكان فرماه من القصر .

فلما خلا القصر من الحشيش ظهر من بعض ثقب القصر حية هائلة وضربته ضربة أشرف بها على الهلاك فتنبه حيث لم ينفعه التنبه أن الحشيش كان من خاصته دفع هذه الحية المهلكة، وكان لأبيه بالوصية بالرياحين غرضان: إحداهما : انتفاع الولد برائحته ، وذلك قد أدركه الولد بعقله. والثانى : اندفاع الحيات المهلكات برائحته . وذلك مما قصر عن دركه بصيرة الولد، فاغتر الولد بما عنده من العلم ، وظن أنه لا سر وراء معلومه ومعقوله كما قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ** ﴾(٢) ،وقال أيضا: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ** ﴾(٣) .

والغرور: من اغتر بعقله فظن أن ما هو منتف عن علمه فهو منتف فى نفسه. ولقد قال العلماء: « إن قلب الآدمى كذلك القصر، وأنه معشعش حيات وعقارب مهلكات، وإنما رقيتها وقيدها بطرق خاصة هى المكتوبات والمشروعات بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾(٤) كتاباً موقوتاً على المؤمنين فى كل عصر ومصر، وكتاباً موقوتاً على الأمة الإسلامية ، وكتاباً موقوتاً على المجتمع فلايشذ عن هذه القاعدة أحد، يقول الرسول صلى الله

---

(١) راجع : الرسالة القشيرية تحقيق د :عبد الحليم محمود .

(٢) النجم : ٣٠ . (٣) غافر : ٨٣ . (٤) النساء : ١٠٣ .

عليه وآله وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » [١] .

ثم ماذا . . ؟

يرى الإمام الشوكانى أن العمل بكلمة التوحيد والقيام بتكاليفها على الوجه الأكمل هو العامل الأول فى نهضة المسلمين وعودهم إلى عزهم ومجدهم فنراه يقول :« إن التزام المسلم بكلمة التوحيد هو الطريق إلى أداء العبادات ، ثم أداء الأعمال اليومية على وجهها بمراقبة الله فيها ، وأن المجتمع لا يمكن أن يستفيد من إيمانه وإسلامه فى حياته الاجتماعية أو الاقتصادية والسياسية إلا إذا كانت هذه الشهادة خالصة من مظاهر الشرك ، فهنا يمكن أن ينتفع الإنسان من هذه الشهادة ديناً ودنيا ، وأنه ما أخر المسلمين ، وقعد بهم عن الاستمرار فى نهضتهم وعزتهم إلا تحريف هذه الشهادة ،وحيلولة مظاهرالشرك بينها وبين حلولها فى القلب. أو حلولها ولكن بزيغ وتشويه ، وأن هذه هى ملة المسلمين اليوم ، والتى وراء كل جمود وتأخر وذلة » [٢] .

فهل وصلت هذه الصيحة التى أطلقها الشوكانى إلى قلوب المسلمين،وهل عملوا بما فيها ، أم أنهم لا يزالون يعيشون فى سبات عميق ، ويلفهم ليل ليس له آخر . .؟ إن هذا الواقع المر الذى يمر به المسلمون فى عالمنا المعاصر يكذب أنهم سمعوا صوتاً أو وعوا قولاً .

---

(١) رواه الترمذى فى الإيمان (٢٦٢١) والنسائى فى الصلاة (٤٦٣) وأحمد فى المسند ٣٤٦/٥ كلهم عن بريدة الأسلمى .

(٢) راجع :رسالة الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل :ص٦٢، ٦٣ ، ٦٨ ومابعدها نقلاً عن كتاب ولاية الله والطريق إليها .

قيام الشوكاني بالتدريس والإفتاء وتوليه منصب القضاء

أ ــ التدريس :

يندر أن يوجد عالم من علماء المسلمين لم يشتغل بالتدريس ولم تكن له حلقة ، يلتف الطلاب حوله ، يستمعون ويسجلون عليه ما يلقيه عليهم ، وما يفيض الله تعالى عليه من فتوح .

والشوكاني أحد العلماء النجباء الذى بدأ التدريس مبكراً ، بدأه مع لداته وأترابه ، فكان إذا ذهب إلى أحد العلماء ـ وسمع منه علما أو قرأ عليه كتابا أو وضح له مسألة غامضة ـ عاد إلى هؤلاء التلاميذ ، شارحا لهم ما سمعه ، قارئا عليهم ما عرفه ، واقفا بينهم أو جالسا بين أيديهم يشنف آذانهم بعلمه ، ويصقل عقولهم بمعرفته .

ولقد عرف أترابه وزملاء الحلقة منه ذلك ، فكانوا يتابعونه فى حله وترحاله ، فى ظعنه وإقامته ، حتى كبرت حلقته، وتجمع فيها صفوة من طلاب العلم وعشاق المعرفة ، وعندما رأى الشوكاني ذلك ، تفرغ لهذه الحلقة قارئاً لهم الكتب وشارحا ما يغلق منها . ومضيفاً إليه ما يجب أن يضيفه وما يفتح الله به عليه .

يقول الدكتور إبراهيم هلال :« وكان فى أثناء دراسته يلقى ما يأخذه من مشايخه إلى تلاميذه الذين اجتمعوا عليه وهو لا يزال فى دور الطلب الأول ، ولذلك كانت دروسه تبلغ فى اليوم والليلة ثلاثة عشر درساً منها ما يأخذه عن أساتذته، ومنها ما يلقيه على تلاميذه ثم تفرغ لإفادة طلاب العلم ، فكانوا يأخذون عنه فى كل يوم زيادة على عشرة دروس ــ كما قال ــ فى فنون متعددة كالتفسير ، والحديث ، والأصول ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق »[1] .

ب ــ الفتوى :

إن للفتوى شروطاً وقواعد ، ولا يتقدم للفتوى إلا من بلغ شأواً بعيداً فى علوم الشرع ، هذا بالإضافة إلى معرفته بتفسير القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وغير ذلك من الشروط والقواعد التى اشترطها العلماء فى وظيفة المفتى والتى تطلب فى مظانها .

ولقد قام الشوكاني بوظيفة الإفتاء فى سن مبكرة وتصدر لها وهو فى نحو العشرين من عمره ، ويقال بأن الفتاوى كانت ترد عليه من خارج صنعاء وشيوخه وأساتذته لا زالوا أحياء ، ولكن الإفتاء فى هذه المرحلة المبكرة من عمره كان مقصوراً عليه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة علمه ، وتمكنه من علوم الشريعة ، وما رزقه الله تعالى من موهبة بزّ بها الأقران وتفوق بها على علماء عصره .

---

(١) راجع :مقدمة ولاية الله : ص٤ .

جـ ــ توليه القضاء :

كيف تولى الشوكانى وظيفة القضاء فى اليمن ؟

أسعى إلى ذلك سعياً حثيثا حتى كلل مسعاه بالنجاح ؟ أم أن ذلك كان قضاء وقدراً ؟ أم أن الأسرة الحاكمة فى اليمن أرادت أن تتستر وراء شهرته الدينية ، وأن يشغلوا الناس بالآراء التى ينادى بها ؟

يقول الشوكانى ــ معبراً عن الطريقة التى تولى بها منصب القضاء فى اليمن ــ:«وكنت إذ ذاك مشتغلاً فى علوم الاجتهاد والإفتاء،والتصنيف،مجتمعاً عن الناس لاسيما ولاة الأمور وأرباب الدولة فإنى لا أتصل بأحد منهم كائناً من كان،فلم أشعر إلا بطلاب الخليفة بعد موت القاضى يحيى بن صالح الشجرى السحولى بأسبوع يطالبوننى بتولى منصب القضاء،فترددت لفترة طويلة ثم تلقيت إلحاحاً من كبار العلماء والأعيان ، وأجمعوا على أن الإجابة واجبة وأنهم يخشون أن يدخل هذا المنصب من لا يوثق بدينه وعلمه فقبلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه» (١) .

إن هذا العالم الجليل الذى ملأت شهرته الآفاق ووهب نفسه للدعوة إلى الاجتهاد وتصحيح العقيدة الإسلامية فى قلوب أصحابها والتى أدخلوا عليها الكثير من الترهات والأباطيل ، وشرع قلمه لتحبير الرسائل وتأليف المصنفات .كيف سمحت له نفسه أن يترك موقعه هذا فى التوجيه والإرشاد ، فى التصحيح والتعديل إلى منصب القضاء ؟

إن تلامذة الشوكانى والمحبين له يبررون قبوله لهذا المنصب لعدة أسباب من أهمها :

١ــ أن الشوكانى رأى فى منصب القضاء فرصة أكبر لنشر السنة وإماتة البدعة ، والدعوة إلى منهج السلف الصالح .

٢ــ أن منصب القضاء قد يقلل من الحرب المشنة عليه من التيارات المعادية والتى أوشكت أن تشل حركته تماماً .

٣ــ أن للسلطان قوة وجبروتاً ، وقد طلب منه هذا الطلب لمنفعة السلطة والحكم ، وقد يكون لرفضه نتائج لاتحمد عقباها .

هذه أهم المبررات التى حدت بالشوكانى إلى قبول منصب القضاء ،بالإضافة إلى أن منصب القضاء يعد مكسبا كبيرا لطلاب الحق والعدل ، وهذا ما فعله الشوكانى طوال توليه هذه الوظيفة ، فقد أقام بنود العدل ، وأنصف المظلومين ، وأبعد الرشوة ، وخفف من غلواء الولاة تجاه الرعية .

ولقد طالت مدة توليه القضاء حتى شملت حياة ثلاثة من الأئمة،أولهم : المنصور على بن المهدى عباس (ت ١٢٢٤هـ) ، وثانيهم:ابنه المتوكل على بن أحمد بن المنصور (ت ١٢٣١هـ)،

---

(١) راجع : البدرالطالع ١/ ٤٦٥ ، ٢/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

وثالثهم : المهدى عبد الله بن عبد الله بن المتوكل (ت ١٢٥١هـ).

وفاة الشوكانى :

ثم ماذا ؟ لكل بداية نهاية ، ولكل أجل كتاب ، فقد آن لشمس هذا العالم الجليل أن تغرب ولنجمه أن يأفل ، وهذه سنة الله تعالى فى خلقه، ولقد صدق ربى فى قوله : ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ (٢) .

ففى عام ١٢٥٠هـ جاءه أجله ، وفارقت روحه جسده ، وفقد العالم الإسلامى بفقده عالماً عاملاً أدى ما عليه من أمانة تجاه ربه ودينه ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته بمقدار ما قدم من علم وفضل للإسلام والمسلمين .

(١) الرعد : ٣٨.

(٢) الأعراف : ٣٤ .

شيوخ الشوكانى وتلاميذه

أ ــ شيوخ الشوكانى :

كان من نعم الله ــ سبحانه وتعالى ــ على الأمة الإسلامية التى وسمها الله تعالى فى كتابه بأنها خير أمة أخرجت للناس، أن رزقها بعدد يفوق الحصر والعد من العلماء الأتقياء ، العاملين الأوفياء ، الذين استجابوا لدعوة الله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** ﴾[1]. فنفروا إلى العلم ، وهاجروا فى أربعة أركان الأرض باحثين ومنقبين عن فقه الدين وقواعد الشرع ، طالبين ذلك فى مظانه وأماكنه حيث الحرم المكى والمدنى وبخارى وسمرقند ، والأزهر الشريف والجامع الأموى فى دمشق ، وجامع الزيتونة والقيروان ، وغير ذلك من بيوت الله والتى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وكانت دائما تعج بطلاب العلم وعمالقة العلماء .

وكان يخفف متاعب السفر عن كبيرهم، ووعثاء الطريق عن ضعيفهم، ويطوى المسافات البعيدة تحت أقدامهم ما وعوه من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الذى رواه الترمذى من حديث أبى الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفرله مَنْ فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»[2].

والشوكانى حباه الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعدد وفير من هؤلاء العلماء الذين نصبوا أنفسهم للعلم ووهبوا حياتهم له . ومن هؤلاء العلماء :

١ــ أحمد بن عامر الحدائى : الفقيه الفرضى ، عالم عصره ، قرأ عليه الشوكانى بعض الشروح فى الفقه والفرائض . وكان معروفاً بالصدق والأمانة والزهد والإخلاص فى الدين ، توفى عام ١١٩٧هـ .

٢ــ إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن : كان يسمى « سيبويه » عصره ، برع فى اللغة العربية صرفها ونحوها ، أثنى عليه الشوكانى ، وقرأ عليه الكثير من المطولات ، توفى عام ١٢٠٦هـ .

٣ــ أحمد بن الحرازى : شيخ الفروع وأستاذ الفقه والأصول ، لازمه الشوكانى فى الفقه ثلاث عشرة سنة، وقرأ عليه الفرائض أيضاً ، كان فقيهاً فى علمه ، متواضعاً مع غيره

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، وراجع : تفسير القرطبى ٨/ ٢٩٦ .

مستظهراً لكتاب ربه يمتاز بالألمعية والذكاء ورجاحة العقل ، توفى عام ١٢٢٧هـ .

٤ــ صديق بن على المزجاجى الحنفى : شيخ الشوكانى بالإجازة فى الحديث وغيره ، قرأ وتفقه فى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار علماً فى هذا الفن وحجة فى علوم الحديث ، توفى عام ١٢٠٩هـ .

٥ــ عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر : من سلالة الإمام المهدى أحمد بن يحيى ، محدث مجتهد من علماء الزيدية باليمن ، ولد عام ١١٣٥هـ ووفاته عام ١٢٠٧هـ بصنعاء ، ونشأ بكوكبان وإليها نسبته وتنقل فى اليمن ، وسافر إلى مكة والمدينة ، وأخذ من علماء كل بلد ، واستقر فى كوكبان زمناً ، وهو أستاذ الشوكانى ، وقد بالغ فى الثناء عليه ، له كتب منها : مسند فى أسماء شيوخه ، وشرح نزهة الطرف للأخفش الصنعانى ، وفلك القاموس مدخل له ، وحواشى على ضوء النهار ، ورسالة فى تحقيق بعض العقاقير الطبية وله نظم [١] .

٦ــ عبد الله بن إسماعيل النهمى : لازمه الشوكانى فترة ، وقرأ عليه بعض المؤلفات فى النحو والصرف ، والمنطق والحديث والأصول . وصفه الشوكانى بالكرم وحسن الخلق ، ولكن ما لبث أن اختلف التلميذ وأستاذه وباعدت بينهم الآراء والأفكار ، فكان من جملة الذين هاجموا الشوكانى وأعلن الحرب عليه ، توفى عام ١٢٢٨هـ .

٧ــ على بن إبراهيم بن على بن عامر : وصفه الشوكانى بقوله : كان إماماً فى جميع العلوم ، محققاً ومدققاً لكل فن منها ، فيه سكينة العباد ، ووقار العلماء ، وتبتل من ينطبق عليهم ورثة الأنبياء ، قرأ عليه الشوكانى صحيح البخارى وبعض السنن ، توفى عام ١٢٠٧هـ .

٨ ــ يحيى بن محمد الحوتى : كان عالماً فى أكثر من علم وفن وتعدى علوم الشرع إلى بعض الفنون الأخرى ، ودرس عليه الشوكانى : الفرائض والحساب ، والضرب والمساحة قال عنه الشوكانى : فاق فى ذلك أهل عصره وتفرد به ولم يشاركه فى ذلك أحد ، توفى عام ١٢٤٧هـ .

ولا نستطيع فى هذه العجالة أن نلم بكل مشايخ الشوكانى وأساتذته ، فهم كثير ، ولقد لازم بعضهم ــ كما ذكرنا سابقاً ــ أكثر من ثلاث عشرة سنة ، ولا شك أن للشيخ دوره الكبير فى تكوين عقلية الطالب ، ودفعه إلى الانتقالية ، وتكوين الرأى ، وهذا ما جعل الشوكانى عالم عصره ، وأستاذ جيله الذى نبذ التقليد ورفع على أصحابه معول الهدم ، ودعا إلى الاجتهاد مقرراً ومؤكداً أن الإسلام صالح لكل عصر ومصر ؛ لأن منزله هو الذى خلق فسوى ، والعالم بمتطلبات خلقه ، الخبير بخلجات نفوسهم وبكل ذرة من ذرات كيانهم ، وبما يصلحهم فى دينهم ودنياهم ، ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [٢] .

---

(١) راجع : البدر الطالع ١/ ٣٦٠ ــ ٣٦٨، ونيل الوطر ٢/ ٤٤ .

(٢) الملك : ١٤ .

ب ــ تلاميذ الشوكانى :

كما أن النحلة الدؤوب ، التى تلف على الأزهار اليانعة والورود المتفتحة لتمتص الرحيق وتذوبه فى داخلها لتخرجه إلى الناس عسلاً صافياً وشهداً هانئاً ، فكذلك العلماء الذين خاضوا فى بحار المعرفة ، وعاشوا بين طيات المراجع والملفات ووعوا كتاب ربهم ، وأخذوا نفوسهم بحديث نبيهم ، لا شك أنهم يخرجون فى النهاية عسلاً وشهداً .

عسلاً يتمثل فى تلاميذهم وطلابهم ، وشهداً تحويه كتبهم ومؤلفاتهم، ولقد كان للشوكانى الأعداد الكبيرة من الطلاب، الذين جلسوا بين يديه وأخذوا من علمه ومن فقهه الشىء الكثير، والبعض الآخر تتلمذ على كتبه وعكف على مؤلفاته حتى أصبح من العلماء الأجلاء الذين أثروا الحياة الفكرية وأضافوا الجديد إلى المكتبة الإسلامية ، ومن هؤلاء التلاميذ الذين نهلوا من فيض علمه :

١ــ محمد بن حسن الشجنى الذمارى القاضى : سمع من شيخه الشوكانى ودرس عليه ، وأجازه ، إجازة عامة فى رجب سنة ١٢٣٩هـ ، ويعتبر من أوائل الذين ترجموا للشوكانى فى كتابه :« التقصار فى جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار » وقسم هذا الكتاب ثلاثة أقسام:

الأول: فى ذكر ولادة شيخه الشوكانى ونشأته وطلبه العلم وخصاله وذكر مؤلفاته وبعض رسائله ونظمه .

الثانى : فى تراجم مشايخه ومن تلقى عليهم العلم .

الثالث : فى تراجم تلامذته وطلابه .

ويقال: كان شاعراً أديباً بليغاً ، ووصفه بعضهم بقوله :فهوالفرد الكامل ، والعماد الفاضل، بل ألقت إليه البلاغة زمامها ، توفى سنة ١٢٨٦هـ [١] .

٢ــ السيد محمد بن محمد زيادة الحسنى اليمنى الصنعانى : صاحب كتاب «نيل الوطر»من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر ، ساهم مساهمة فعالة فى نشر بعض مؤلفات الشوكانى فى مصر وفى غيرها من البلاد الإسلامية . ويعتبر من الجيل الثانى من تلاميذ الشوكانى ، توفى عام ١٣٨١هـ .

٣ــ أحمد بن عبد الله الضمدى: ولد عام ١١٧٤هـ نسبة إلى بلدة « ضمد » جلس إلى الشوكانى وأخذ منه ، وانتقل إلى شيوخ غيره ، ولكن صلته بالشوكانى كانت أكثر. ثم عاد إلى بلده ، وأصبح المرجع لأهلها فى التدريس والإفتاء، وتسامع الناس به فجاءته الوفود من البلاد المجاورة . وله أسئلة عديدة إلى أستاذه الشوكانى أجاب له عنها فى رسالة سماها « العقد المنضد » ، وتوفى عام ١٢٢٢هـ [٢] .

---

(١) راجع : نيل الوطر ٢/ ٢٥٧ المطبعة السلفية .

(٢) راجع : البدر الطالع ١/ ٧٧.

٤ــ على بن أحمد : هاجر الصنعانى ، ولد قريباً من سنة ١١٨٠هـ، وقد تبحر فى العلوم العقلية وأتقنها ودرس على أستاذه الشوكانى علم المنطق وغيره .قال الشوكانى :بعد أن أخذ عنه علم المنطق ، وهو يفهمه فهماً بديعاً ويتقنه إتقاناً عجيباً. . ثم قال : قل أن يوجد نظيره مع صلابة فى الدين . . ، توفى عام ١٢٣٥هـ .

٥ ــ أحمد بن محمد الشوكانى : ولد فى سنة ١٢٢٩هـ ،وانقطع للاشتغال بمؤلفات والده ، حتى جاز من العلم السهم الوافر، وانتفع به عدة من الأكابر، وتولى القضاء العام بمدينة صنعاء وله مؤلفات جيدة ومفيدة ، وكان يعد أكبر علماء اليمن بعد والده، توفى سنة ١٢٨١هـ [١].

٦ــ الحسن بن محمد السحولى : حاكم تعز، ولد سنة ١١٩٠هـ وتوفى سنة ١٢٢٤هـ . قرأ على الشوكانى الحديث والفقه، وبعض مؤلفاته فى العربية والأصول . ووصفه بلطف الشمائل ورقة الطبع وكرم الأخلاق[٢].

٧ــ الحسين بن محمد العنسى : ولد سنة ١١٨٨هـ وتوفى سنة ١٢٣٥هـ، قرأ على الشوكانى فى النحو والصرف والمنطق والمعانى والبيان والأصول وبعض مؤلفاته ، وقد وصفه الشوكانى بأنه قليل النظير فى فهم الدقائق وحسن التصور ، وقوة الإدراك [٣] .

٨ ــ سيف بن موسى بن جعفر البحرانى : وفد إلى صنعاء فى محرم سنة ١٢٣٤هـ ، وغادرها فى شوال سنة ١٢٣٤هـ ، وقد قرأ على الشوكانى فى الفقه والحديث والتفسير والأصول وعلم الكلام والحكمة والإلهيات [٤] .

ونكتفى بهذا القدر من تلاميذ الشوكانى لأنهم أعداد كثيرة ، وقد استطاع الإمام الشوكانى أن يجمع العدد الكبير منهم فى كتابه (الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام).

لقد كان الشوكانى صاحب مذهب ومفكرا ألمعيا ، نبذ التقليد ودعا إلى الاجتهاد ، وكأن الأمة الإسلامية بعامة ، ورجال العقيدة والشريعة بخاصة كانوا فى انتظار العالم الجرىء الذى ينادى بهذه الدعوة ، وما كاد الشوكانى يعلن دعوته حتى كان له مادح وقادح ، ولكن ما كان أكثر المادحين وأقل القادحين لهذه الدعوة المباركة ، الأمر الذى جعلها تنتشر فى كثير من بلاد المسلمين ، وخصوصاً فى باكستان والهند على يد تلميذه الشيخ عبد الحق بن فضل الهندى وأيضا تلميذه المتحمس لدعوته السيد محمد صديق حسن خان أمير مملكة (بهوبال) بالهند .

وإذا كان ذلك كذلك، فيطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على مؤلفات الإمام الشوكانى .

---

(١) راجع : نيل الوطر١/ ٢١٥ .
(٢) راجع نيل الوطر ١/ ٣٥٤ ، والتقصار :ص١١٠ .
(٣) البدر الطالع ١/ ٢٦٩، ونيل الوطر ١ / ٣٨٣، والتقصار: ص١١٠ .
(٤) البدر الطالع ١/ ٢٣٧، ونيل الوطر ١/ ٤٠٥، والتقصار:ص١١٠ .

مؤلفات الإمام الشوكانى

قلنا فى كلمة سابقة : إن العلماء العاملين لدينهم ، تراهم كالنحلة الدؤوب، تنتقل من زهرة إلى زهرة ، ومن وردة إلى غصن، تمتص الرحيق لتخرجه فى النهاية عسلاً وشهداً، عسلاً يتمثل فى طلابهم الذين يحملون الرسالة من بعدهم ، وشهداً يتمثل فى كتبهم ومؤلفاتهم التى أخرجوها لتكون زاداً لطلاب العلم والمعرفة من بعدهم ، وضياء يضىء لهم الطريق ، يرشدهم إلى ما يصلحهم فى دينهم ودنياهم .

والإمام الشوكانى ــ رحمه الله ــ قدم للمكتبة الإسلامية زاداً زاخراً وعلماً نافعاً، ومؤلفات تربو عن الحصر والعد ، ولم تكن هذه المؤلفات فى فن واحد من فنون المعرفة أو علم واحد من علوم الشرع ، ولكنه كان نتاجاً شاملاً تناول أكثر المعارف فى عصره ، والفاحص لهذه المؤلفات يجد أنه تناول فيها :

قضايا التوحيد ، وناقش علماء الكلام ، وهدم الكثير من قواعدهم وأدلتهم ودعاهم إلى نبذ الخلافات والعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى تتخلص كتب العقائد من طلاسمهم وألغازهم .

ثم كتب فى الحديث وعلومه ، وكان كتابه العظيم « نيل الأوطار » خير شاهد على تمكنه فى هذا العلم ، والذى أسهب فى شرح سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وجلاها فى صورة واضحة بينة ، ودعا المسلمين إلى الاهتمام بها ؛ لأنها من كلام خاتم المرسلين الذى لا ينطق عن الهوى ، ولأنها المفسرة لكتاب الله تعالى؛ لقوله عليه السلام : «أعطيت القرآن ومثله معه » .

وعندما وجد الشوكانى الخلافات بين الفقهاء فى عصره لا تقف عند حد دعاهم إلى نبذ الخلافات وأمرهم بالاجتهاد حتى لا يتوقف شرع الله تعالى ، ولأن لكل عصر ظروفه ودواعيه، وحتى لا تكون دعوته دعوة ثائر فقط أو مقولة كاتب فحسب نراه فتح الطريق إلى الاجتهاد بكتابه القيم « السيل الجرار على حدائق الأزهار»[1] وغيره من المؤلفات ، وكأن هذا الكتاب كان إشارة البدء لغيره من العلماء بالاجتهاد وتقديم الصورة المثلى لفقه الإسلام وشرعه الذى أنزله الله تعالى ليكون للبشرية هادياً فى كل عصر ومصر .

ثم وضع الأسس والقواعد لمنطق إسلامى فى كتابه القيم « أمنية المتسوق فى تحقيق علم المنطق » ، ناهجاً فيه نهج أستاذه ابن تيمية فى كتابيه « نقض المنطق » و« الرد على المنطقيين » .

ثم كانت له مؤلفات كثيرة ورسائل عديدة فى فن البلاغة وعلم الاشتقاق .

---

(١) تم طبع هذا الكتاب عن طريق المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ، وتوجد نسخة مخطوطة بمكتبة صنعاء بخط الشوكانى ، انتهى منها سنة ١٢٣٥هـ .

ثم كان مؤلفه العظيم فى التفسير« فتح القدير» الذى نحن بصدد الحديث عنه ، ويطيب لنا أن نقدم فى هذه المقدمة ثبتاً ببعض كتبه المخطوط منها والمطبوع وعلى الله قصد السبيل .

أولا: الكتب المخطوطة :

١ــ التفسير :

١ــ بحث فى الرد على الزمخشرى فى استحسان بيت المرية فى سورة « سبحان » [١] .

٢ــ البحث الملم المتعلق بقوله تعالى :﴿ **إِلاَّ مَن ظُلِمَ** ﴾ [٢] .

٣ــ بحث فى شرح قوله تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا** ﴾ [٣] .

٤ــ مطلع البدرين ومجمع البحرين فى التفسير، وهو أصل فتح القدير فى ستة مجلدات كبار[٤].

٥ــ النشر فى فوائد سورة العصر [٥].

٢ــ الحديث :

١ ــ الأبحاث الوضية فى الكلام على حديث : « الدنيا رأس كل خطية » [٦] .

٢ ــ إتحاف المهرة على حديث :« لاعدوى ولاطيرة » [٧].

٣ ــ بحث فيما اشتهر على ألسن الناس :« أنه لا عهد لظالم» [٨] .

٤ ــ بحث فى حديث :« إنما الأعمال بالنيات» [٩] .

٥ ــ بحث فى حديث : « فدين الله أحق أن يقضى» [١٠] .

٦ ــ بحث فى حديث : « الصوم لى وأنا أجزى به» [١١].

٧ ــ بحث فى الكلام على حديث : « إذا اجتهد المجتهد فأصاب. . . » إلخ [١٢] .

٨ ــ بحث فى شرح حديث :« بنى الإسلام على خمس» [١٣] .

٩ ــ بحث فى شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها» [١٤] .

١٠ــ بحث فى مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين الصحابة[١٥].

١١ــ رفع الباس عن حديث : النفس والهم والوسواس .

---

(١) رقم ٨٣ مجموع ٥٠ متوكلية .
(٢) النساء :١٤٨ .
(٣) الأنعام : ١٥١ .
(٤) راجع : ولاية الله :ص٥١ .
(٥) البدر الطالع ٢/ ٢٢١ .
(٦) يقال: بأن هذا الكتاب طبع فى النهضةالمصرية.
(٧) مكتبة الجامع بصنعاء رقم: ٤ من مجاميع المتوكلية .
(٨) الفتح الربانى ٣٨ .
(٩) الفتح رقم ٩/ ٥٩ من مجاميع متوكلية .
(١٠) راجع: البدر الطالع ٢/ ٢٢٣.
(١١) راجع : التقصار: ص٢٣ .
(١٢) الفتح الربانى رقم (١) الجامع المقدسى .
(١٣) الفتح الربانى رقم٨٣ مجاميع الجامع المقدسى .
(١٤) رقم ٥٠ متوكلية.
(١٥) رقم ٣١ من مجاميع المتوكلية ٥٩ .

١٢ــ القول المقبول فى رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول .

١٣ــ نثر الجوهر فى شرح حديث أبى ذر .

١٤ــ نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى على شرحه نيل الأوطار .

١٥ــ كشف الدين عن حديث ذى اليدين .

٣ــ العقيدة :

١ــ الإثبات فى التقاء أرواح الأحياء والأموات [١].

٢ ــ الإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح [٢].

٣ ــ بحث فى الاستدلال على كرامات الأولياء [٣] .

٤ ــ بحث فى التصوير . وقد بين فيه المؤلف عدم جوازه مطلقاً ضمن مجموع ٨٣ .

٥ ــ بحث فى أن إجابة الدعاء لاينافى القضاء [٤] ، وهو بحث يقع فى ست صفحات تقريباً يثبت فيه المؤلف أن كون الله تعالى أمرنا بدعائه وأن الرسول حببنا فى الدعاء : لا ينافى هذا مع سبق القضاء من الله سبحانه فإنه من الممكن أن يمحو الله ما يشاء ويثبت بناء على الدعاء .

٦ ــ بحث فى الكلام على الذكر والجهر به . مجموع ٨٣ مجاميع الجامع المقدسى بصنعاء .

٧ ــ بحث فى حال الأموات فى البرزخ [٥] .

٨ ــ بحث فى الرد على من قال : إن علوم الناس تسلب عنهم فى الجنة .

٩ ــ بحث فى مستقر الأرواح بعد الموت . رقم ٣٧من مجموع ٥٩ ستوكلية .

١٠ــ بحث فى وجوب محبة الله . رقم ٣٢مجاميع متوكلية [٦] .

١١ــ البغية فى مسألة الرؤية [٧] (أى رؤية الله تعالى)، أثبت فيه إمكان رؤية الله فى الآخرة ، ورد فيه على المعتزلة الذين أنكروا ذلك .

١٢ــ تنبيه الأفاضل على ماورد فى زيادة العمر ونقصه من الدلائل [٨] أثبت فيها أن العمر يزيد وينقص ثم بين المراد من قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا**

---

(١) مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٢٢من الفتح الربانى مجاميع المتوكلية .

(٢) فى عشر صفحات ضمن مجاميع المتوكلية رقم ٥٩وهى تدور حول المراد من توبة الذين يرمون المحصنات ، وهو جواب عن سؤال من تلميذه لطف الله بن أحمد جحاف .

(٣) رقم ٤٠ من مجموع ٥٩ متوكلية وذكره فى تفسير فتح القدير سورة الجن : آية رقم ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) رقم ٤١ من مجاميع ٥٩ وذكره فى ولاية الله . (٥) الفتح الربانى رقم ١مجاميع .

(٦) ط . دار النهضة سنة ١٣٩٦هـ وتوجد نسخة مخطوطة رقم ٣٢ من مجاميع ٥٩ .

(٧) راجع : تفسير فتح القدير سورة القيامة : آية رقم ٢٣ .

(٨) ضمن مجموع ٥٩ .

﴿ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

١٣ــ التوضيح فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظروالدجال والمسيح [١] .

١٤ــ جواب سؤال عن الصبر والحلم [٢] . وهو رد على سؤال من السيد العلامة إبراهيم بن محمد بن إسحاق قد وجهه إلى المؤلف بقوله : (هل الصبر والحلم متلازمان ؟) .

١٥ــ رسالة فى توحيد الله ــ عز وجل ــ [٣] .

١٦ــ كشف الأستار فى إبطال كلام من قال بفناء النار .

١٧ــ المختصر البديع فى الخلق الوسيع ذكر خلق السموات والأرض وما فوقهما وما دونهما والجن والإنس والملائكة والعوالم أجمع [٤] .

١٨ــ العذب النمير فى جواب عالم عسير فى التوحيد وفاتحة الكتاب [٥] .

١٩ــ المقالة الفاخرة فى بيان اتفاق الشرائع على الدار الآخرة [٦] .

٢٠ــ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات [٧] .

٤ــ الفقه :

١ــ الأبحاث البديعة فى وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة .

٢ــ إشراق الطلعة فى عدم الاعتداد بالركعة من الجمعة .

٣ــ إشراق النيرين فى بيان الحكم إذا تخلف أحد الخصمين .

٤ــ اطلاع أرباب ذوى الكمال على ما فى رسالة الجلال من الاختلال .

٥ــ إقناع الباحث بدفع ما ظنه دليلاً على جواز الوصية للوارث .

٦ــ إيضاح الدلالات لأحكام الخيارات .

٧ــ إيضاح الدلائل على ما يجوز بين الإمام والمأموم من الحائل .

٨ ــ بحث فى بيع المشاع من غير تعيين .

٩ ــ بحث فى بيع وقف الذرية .

---

(١) ضمن مجموع ٥٩ .

(٢) رقم ٢٥ ضمن مجموع ٥٩ ومجموع ٣٢ الجامع بصنعاء .

(٣) الفتح الربانى رقم ١من مجاميع ١٨٣ الجامع المقدسى بصنعاء .

(٤) البدر الطالع ٢/ ٢٢٠ . (٥) ولاية الله : ص٤٨ . (٦) تم طبع هذه الرسالة .

(٧) نسخة بخط المؤلف مجموع رقم ٥٩ مجاميع المتوكلية جامع صنعاء، وقد دار هذا المؤلف حول اتحاد الشرائع السماوية كلها فى أمور ثلاثة : توحيد الله وإثبات النبوات ، وتصديق بعضها بعضاً، وإثبات البعث الحسى ، وقد رد بهذا على (موسى بن ميمون) اليهودى الأندلسى فى إنكاره لعلم الله بالجزئيات ونفيه اللذة الجسمانية وقوله بالبعث الروحى فقط . وهو يقع فى ثمان وخمسين صفحة تقريباً وقد انتهى من تأليفه سنة ١٢٣١هـ . راجع : قطر الولى تحقيق د . إبراهيم هلال .

١٠ــ بحث فى سؤال يتعلق بالصلاة .

١١ــ بحث فى السجود المنفرد .

١٢ــ بحث فى تحريم الزكاة على الهاشمى .

١٣- بحث فى امتناع الزوجة حتى يسمى المهر .

١٤ــ بحث فى نجاسة الدم من الخيل ومن بنى آدم .

١٥ــ بحث فى الربا .

١٦ــ الأبحاث الحسان المتعلقة بالعارية والشركة والتأجير والرهان .

١٧ــ بحث فى الطلاق المشروط .

١٨ــ بحث فيمن وقف على أولاده دون زوجته .

١٩ــ الأبحاث الوفية فى الشركة العربية.

٢٠ــ بحث فى رضاع الكبير هل يقتضى التحريم أو لا ؟

٢١ــ بحث فى العين المسروقة إذا وجدها المالك .

٢٢ــ بحث فى إخراج أجرة الحاج من رأس المال ولم يجزه إلا إذا تبرع الورثة.

٢٣ــ بحث فى قاذف الرجل وما عليه من الحد .

٢٤ــ بحث فى مسائل الوصايا التى يترتب عليها الضرر .

٢٥ــ بحث فى نقض الحكم إذا لم يوافق الحق .

٢٦ــ بحث فى صلاة السفر وهو جواب عن سؤال .

٢٧ ــ بحث فى وجوب الإمساك إذا دخل رمضان ولم يعلموا ذلك إلا نهاراً هل يجب الإمساك أم لا ؟

٢٨ــ بحث فيمن أجبر على الطلاق فقال فيه مذهبان : الأول :يقع ، والثانى : لا يقع وهو مذهب أهل البيت وهو الراجح .

٢٩ــ بحث فيما يقتضى التحريم من الرضاع واختار أنه لا يحرم إلا خمس رضعات.

٣٠ ــ بحث فى دفع من قال : إنه يستحب الرفع فى السجود .

٣١ ــ بحث فى يمين التعنت التى يطلبها المتخاصمان .

٣٢ــ بحث فى شفعة الجار .

٣٣ - بحث فيمن أوصى بالثلث قاصداً إحرام الوارث .

٣٤ــ بحث فى كون الولد يلحق بأمه كابن الملاعنة والأمة ومجهول النسب .

٣٥ــ البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر .

٣٦ــ بحث فى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة .

٣٧ــ بحث فيما يتعلق بعورات النساء .

٣٨ ــ بحث فى العمل بقول المفتى.

٣٩ ــ تحرير الدلائل على مقدار ما يجوز بين الإمام والمأموم فى الصلاة من الارتفاع والحائل وهى شرح لرسالته . إيضاح الدلائل .

٤٠ ــ تنبيه الأمثال على عدم وجوب الاستعانة من خالص المال [١] .

٤١ــ تنبيه ذوى الحجا على حكم بيع الرجاء .

٤٢ــ جواب سؤال عن نجاسة الميتة .

٤٣ــ الدفعة فى وجه ضرر القرعة .

٤٤ــ رسالة القول المحرر فى حكم لبس المعصفر وسائرأنواع الأحمر.

٤٥ــ رسالة فى أحكام لبس الحرير .

٤٦ ــ رسالة فى جواز استناد الحاكم فى حكمه إلى تقويم العدول .

٤٧ــ رسالة فى حكم الطلاق البدعى هل يقع أم لا؟ .

٤٨ ــ رسالة فى اختلاف العلماء فى تقدير النفاس.

٤٩ــ رسالة فى التحلى بالذهب للرجال .

٥٠ ــ رسالة فى التسعير هل يجوز أولا ؟

٥١ــ رسالة فى نفقة المطلقة ثلاثاً .

٥٢ــ رسالة فى الكسوف هل يكون فى وقت معين على القطع أم ذلك يختلف ؟

٥٣ــ رسالة فى القراءة التى يهدى ثوابها إلى الميت من الأحياء .

٥٤ــ رسالة فى أسباب سجود السهو .

٥٥ــ رسالة فيمن حلف ليقضين دينه غداً إن شاء الله.

٥٦ــ رسالة فى بيع الشىء قبل قبضه .

---

(١) رقم ١١ من مجموع (٥٩) المتوكلية.

٥٧ـ رسالة هل الخلع طلاق أو فسخ ؟

٥٨ـ رسالة فى حكم بيع الماء .

٥٩ـ رسالة فى حكم أن الطلاق لا يتبع الطلاق على الراجح .

٦٠ـ سؤال عن الوصية للوارث .

٦١ـ سؤال فى التحيل لإسقاط الشفعة .

٦٢ـ سؤال فى إجبار الجار على البيع لأجل الغرر .

٦٣ـ شفاء العلل فى زيادة الثمن لأجل الأجل .

٦٤ـ الصوارم الهندية المسلولة على الرياض الندية فى الرد على من زعم أن غسل الفرجين من أعضاء الوضوء من الزيدية .

٦٥ـ ضرب القرعة فى شرطية خطبة الجمعة .

٦٦ـ القول الجلى فى لبس النساء للحلى .

٦٧ـ القول الصادق فى حكم إمامة الفاسق .

٦٨ـ القول الواضح فى صلاة المستحاضة .

٦٩ـ كشف الأستار عن الحكم فى الشفعة بالجوار .

٧٠ـ اللمعة فى الاعتداد بإدراك ركعة من الجمعة .

٧١ ـ هفوات الأئمة الأربعة .

٧٢ـ بحث فى تكثير الجماعات فى مسجد واحد .

٧٣ـ هل يجوز قضاء المقلد؟

٧٤ـ بغية المستفيد فى الرد على من أنكر الاجتهاد والتقليد .

٥ـ المنطق :

١ـ أمنية المتسوق فى تحقيق علم المنطق .

٢ـ دفع الاعتراضات على إيضاح الدلالات .

٣ـ فتح الخلاف فى جواب مسائل عبد الرزاق الدهلوى الهندى فى علم المنطق .

٦ـ التصوف :

١ـ بحث فى التصوف تحت اسم الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات فى ذوى الإلحاد .

٢ـ الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد .

٧ــ أنواع متفرقة فى بعض العلوم والفنون :

١ــ إبطال دعوى الاختلال فى حل الإشكال .

٢ــ أدب الطلب ومنتهى الأرب [١] .

٣ــ إرشاد المستفيد إلى دفع كلام ابن دقيق العيد .

٤ــ إفادة السائل فى العشرالمسائل .

٥ــ بحث فى الإضرار بالجار .

٦ــ بحث فى تبادل اللفظ عند الإطلاق .

٧ــ بحث فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، هل يكفى الرمز إليها خطاً أو لابد من كتابتها كاملة ؟ .

٨ ــ بحث فى وجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة وغيرها .

٩ــ بحث فى حفلة المولد النبوى . قال : لم أجد فى جوازه دليلاً وأول من اخترعه السلطان المظفر أبو سعيد فى القرن السابع، وأجمع المسلمون أنه بدعة .

١٠ــ بحث فى التعليق على الفوائد لابن القيم .

١١ــ بحث فى النهى عن مودة أهل السوء .

١٢ــ بحث فى كون سبب التفرق هو علم الرأى .

١٣ــ جواب عن أسئلة وردت من كوكبان .

١٤ــ جواب أسئلة وردت من بعض علماء اليمن .

١٥ــ جواب أسئلة وردت من الفقيه قاسم بن لطف الله .

١٦ــ جواب سؤالات وردت من تهامة .

١٧ــ جيد النقد فى عبارة الكشاف والسعد .

١٨ــ حل الإشكال فى إجبار اليهود على التقاط الأزبال .

١٩ــ در السحابة فى مناقب القرابة والصحابة .

٢٠ــ رسائل على مسائل من السيد على بن إسماعيل .

٢١ــ رسالة جواب على مسائل لبعض علماء الحجاز .

٢٢ــ الروض الوسيع فى الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع .

٢٣ــ رسالة فى حكم أجاب بها على الشريف إبراهيم بن أحمد بن إسحاق .

---

(١) نسخة بخط المؤلف ومن وقفه على مكتبة الجامع المقدسى بصنعاء رقم ٣٠٢ ، وقد حكى فيه ما وقع له مع المقلدين، وتاريخ حياته كاملا فى طلب العلم، وما الذى يجب أن يكون عليه طالب العلم وما يجب أن يحصله .

٢٤ــ زهر النسرين الفائح بفضائل العمرين .

٢٥ــ الطود المنيف فى الانتصار للسعد بن الشريف .

٢٦ــ طيب النشر فى المسائل العشر .

٢٧ــ القول الحسن فى فضائل أهل اليمن .

٢٨ــ منحة المنان فى أجرة القاضى والسجان .

٢٩ــ نزهة الأحداق فى علم الاشتقاق .

ثانياً : الكتب المطبوعة :

١ــ إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر ، ط. حيدر أباد سنة ١٣٢٨هـ .

٢ــ إبطال دعوى الإجماع على مطلق السماع ، ط . حيدر أباد سنة ١٣٢٨هـ .

٣ــ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، ط. النهضة العربية بمصر تحقيق د . إبراهيم هلال سنة ١٣٩٥هـ .

٤ــ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ط . المطبعة المنيرية ١٣٤٧هـ ، ط. السعادة سنة ١٣٦٥هـ ، وط . الحلبى سنة ١٣٥٦هـ .

٥ــ إرشاد السائل إلى دليل المسائل ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .

٦ــ إشكال السائل إلى تفسير ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ** ﴾ ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .

٧ــ الإعلام بالمشائخ الأعلام والتلامذة الكرام ، معجم لشيوخه، ط . ١٣٢٨هـ (حيدر آباد) .

٨ ــ الإيضاح لمعنى التوبة والصلاح ، ط. دار النهضة ١٣٩٥هـ .

٩ــ بحث فى وجوب محبة الله ، ط . دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

١٠ــ بحث فى الاستدلال على كرامات الأولياء ، ط . دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

١١ــ بحث فى إجابة الدعاء لاينافى سبق القضاء ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .

١٢ــ بحث فى الكلام على أمناء الشريعة ، ط . دار النهضة ١٣٩٥هـ .

١٣ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ط. السعادة ١٣٥٠هـ ، ط. دار المعرفة بيروت بدون تاريخ « أثبت فيه أن القرون المتأخرة عمرت بالعلماء المجتهدين، ولم يخل قرن من القرون من جماعة من هؤلاء ؛ لأن خلو عصر من أمثال هؤلاء ضياع الشريعة بلا مرية وذهاب الدين بلا شك، وهو تعالى قد تكفل بحفظ دينه، وليس المراد :حفظه فى بطون الصحف والدفاتر بل إيجاد من يبينه للناس فى كل وقت وعند كل حاجة » [١] .

(١) مقدمة البدر الطالع .

١٤ــ تحفة الذاكرين فى شرح (عدة الحصن الحصين) ، ط. مصطفى الحلبى سنة ١٣٥٠هـ ، قال فى مقدمته : « وبعد: فإنه لما كان كتاب (عدة الحصن الحصين) فى الأذكار الواردة عن سيد المرسلين من أكثر الكتب نفعاً ، وأحسنها صنعاً ، وأتقنها جمعاً وأحكمها وضعاً ، بقى فيه ما بقى الدين من العين، وإن لم يكن فيه شين ، وهو عدم التنبيه على ما فى بعض أحاديثه من المقال ، وعدم الانتباه لعزوه إلى مخرجيه إلى الكمال ــ إلى أن قال ــ ولم نقف إلى الآن، ولا سمعنا عن أحد من أهل العرفان ، أنه شرح هذا الكتاب بشرح يشرح صدور أولى الألباب، ويتبين به القشر من اللباب ، ولا أنه حام أحد حول هذا المقصد النفيس، والغرض الذى هو لطالب هذا الكلام على فوائد الحديث كالرئيس» [١] . . .إلخ.

١٥ــ التحف فى مذاهب السلف ، ط . المنيرية سنة ١٣٨٣هـ ، والحلبى ١٣٥٠هـ .

١٦ــ تنبيه الأفاضل على ما ورد من زيادة العمر ونقصه من الدلائل ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

١٧ــ تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام ، ط . مصر مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٠هـ تحت اسم (كشف الشبهات عن المشبهات)[٢] .

١٨ــ جواب سؤال يتعلق بما ورد فى الخضر عليه السلام ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

١٩ــ جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل ، ط .النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٢٠ــ جواب عن سؤال الصبر والحلم ، ط . النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٢١ ــ جواب عن سؤال كيف أن الفاء فى قوله تعالى : ﴿ **فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ** ﴾ واقعة فى موقع الدليل ، ط . النهضة ١٣٩٥هـ .

٢٢ــ جواب عن سؤال عن نكتة التكرار فى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ، وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ ، ط . النهضة ١٣٩٥هـ .

٢٣ــ الدرارى المضيئة فى شرح الدرر البهية ، ط . مصر الحرة سنة ١٩٢٨هـ .

٢٤ ــ الدرر البهية : متن الدرارى المضيئة ، ط . مصر الحرة سنة١٩٢٨هـ .

٢٥ــ الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد ، ط المنيرية ١٣٤٨هـ .

٢٦ــ الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل ، ط .المنيرية ١٣٤٣هـ .

٢٧ــ رفع الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة، ط. المنيرية ١٣٤٢هـ ، و١٣٤٨هـ .

٢٨ــ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهـار ،ط .الشؤون الإسلامية بمصر سنة ١٣٩٠هـ ،

---

(١) من مقدمة تحفة الذاكرين .

(٢) راجع : مقدمة ولاية الله للدكتور: إبراهيم هلال ، تحقيق كتاب قطر الولى للشوكانى .

وط . دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ قال فى مقدمته : « فإن مختصر الأزهار لما كان مدرس طلبة هذه الديار فى هذه الأعصار ومعتمدهم الذى عليه فى عباداتهم ومعاملاتهم المدار ، وكان قد وقع فى كثير من مسائله الاختلاف بين المختلفين من علماء الدين والمحققين من المجتهدين ، أحببت أن أكون حكماً بينه وبينهم ثم بينهم أنفسهم عند اختلافهم فى ذات بينهم، فمن كان أهلاً للترجيح ومتأهلاً للتقسيم والتصحيح فهو إن شاء الله سيعرف لهذا التعليق قدره، ويجعله لنفسه مرجعاً » إلخ .

٢٩ــ شرح الصدور فى تحريم رفع القبور ، ط . المنيرية سنة ١٣٤٧هـ .

٣٠ــ العقد الثمين فى إثبات وصاية أمير المؤمنين ، ط.المنيرية سنة ١٣٤٨هـ .

٣١ــ عقود الزبرجد فى مسائل جيد علامة ضمد ، ط . دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٣٢ــ الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ، ط . فى الهند سنة ١٢٠٣هـ، ثم بمصر، ط . المحمدية سنة ١٣٨٠هـ ثم قام بتحقيقه عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمنى ١٣٩٨هـ. قال فى مقدمته : « وبعد : فلما كان تمييز الموضوع من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل الفنون ، وأعظم العلوم ، وأنبل الفوائد من جهات يكثر تعدادها ولولم يكن منها إلا تنبيه المقصرين فى علم السنة على ما هو مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجتنبوه، ويحذروا من العمل به، واعتقاد ما فيه وإرشاد الناس إليه ، كما وقع لكثير من المصنفين للفقه» إلخ[١].

٣٣ــ قطر الولى على حديث الولى ، تحقيق الدكتور إبراهيم هلال ، ط .دار الكتب الحديثة سنة ١٣٩٥هـ. قال فى مقدمته : « فإنه لما كان حديث « من عادى لى ولياً » قد اشتمل على فوائد كثيرة النفع جليلة القدر لمن فهمها حق فهمها وتدبرها كما ينبغى ، أحببت أن أفرد هذا الحديث الجليل بمؤلف مستقل، أنشر من فوائده ما تبلغ إليه الطاقة ويصل إليه الفهم ، وما أحقه بأن يفرد بالتأليف ، فإنه قد اشتمل على كلمات كلها درر ، الواحدة منها تحتها من الفوائد ما ستقف على البعض منه ، وكيف لا يكون كذلك وقد حكاه عن الرب سبحانه من أوتى جوامع الكلم ، ومن هو أفصح من نطق بالضاد ، وخيرالعالم بأسره ، وأجل خلق الله ، وسيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم »إلخ[٢] .

٣٤ــ القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ، ط. المنيرية سنة ١٣٤٨هـ ، وط . دار القلم تحقيق عبد الرحمن عبد الخالق، وتحقيق محمد عثمان الخشت ، ط .مكتبة القرآن القاهرة. قال فى مقدمته : « طلب منى بعض المحققين من أهل العلم أن أجمع له بحثاً يشتمل على تحقيق الحق فى التقليد أجائز هو أم لا؟ على وجه لا يبقى بعده شك ولا يقبل عنده تشكيك، ولما كان هذا السائل من العلماء المبرزين كان جوابه على نمط علم المناظرة . فنقول وبالله التوفيق » إلخ [٣].

---

(١) راجع : مقدمة كتاب الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة .

(٢) راجع : مقدمة قطر الولى : ص٢١٧ . (٣) راجع :مقدمة القول المفيد : ص ١٨ .

٣٥ـ المسك الفائح فى حط الجوائح ، ط .النهضة سنة١٣٩٥هـ .

٣٦ـ نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى ، مختصر من نيل الأوطار ، ط . بالهند سنة ١١٩٧هـ .

٣٧ـ نيل الأوطار (شرح منتقى الأخبار) ،ط . الحلبى سنة ١٣٤٧هـ ، وط .العثمانية ١٣٥٧هـ ، وط. المكتبات الأزهرية القاهرة ١٣٨٥هـ قال فى مقدمته : « وبعد : فإنه لما كان الكتاب الموسوم بالمنتقى من الأخبار فى الأحكام مما لم ينسج على بديع منواله ، ولاحرر على شكله ومثاله أحد من الأئمة الأعلام ، قد جمع من السنة المطهرة مالم يجتمع فى غيره من الأسفار، وبلغ إلى غاية فى الإحاطة بأحاديث الأحكام تتقاصر عنها الدفاتر الكبار ، وشمل من دلائل المسائل جملة نافعة تغنى دون الظفر ببعضها طوال الأعمار ، وصار مرجعاً لجلة العلماء عند الحاجة إلى طلب الدليل لاسيما فى هذه الديار والأعصار » إلخ .

٣٨ـ فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من التفسير ـ وهو موضوع هذا التحقيق ـ ويوجد أصله فى الجامع الكبير بصنعاء ويقع فى ستة مجلدات كبار تحت رقم ٧٩ تفسير بعنوان مطلع البدرين ومجمع البحرين،وقد أخطأ د.هلال عندما اعتبر كتاب مطلع البدرين مؤلفاً آخر للشوكانى فى علم التفسير[١] ، والصحيح أن المطبوع بعنوان (فتح القدير) والمخطوط بعنوان : مطلع البدرين فينبغى الالتفات إلى ذلك [٢] .

يقول الدكتورعبد الغنى قاسم : « ولايزال المجال مفتوحاً أمام الباحثين للتنقيب عن سائر مؤلفاته، والتى يمكن العثور عليها فى المكتبات المنزلية للأسر اليمنية التى توارثت ملكية مخطوطات علماء اليمن وفى مكتبات كل من الهند حيث يوجد تلاميذه وتركيا (اسطنبول) وإيطاليا وبريطانيا وسائر متاحف ومكتبات أوربا الغربية والشرقية ، حيث تتواجد الكثير من المخطوطات التى تسربت إلى خارج اليمن ، ويقدر الباحث عدد أبحاث ورسائل المجموع (المفقود) . الذى كان بحوزة السيد العلامة محمد المنصور عضو مجلس الشعب حالياً باليمن بما لايقل عن ٧٠ بحثاً ورسالة قياساً على مجاميعه الأخرى التى قام الباحث بالاطلاع عليها، وأشار إليها الإمام الشوكانى بأنها مجلدات كبيرة تحمل عنوان (الفتح الربانى) [٣] . وإذا كان ذلك كذلك، فيطيب لنا أن نقطع شوطاً آخر فى منهج الشوكانى فى التفسير .

---

(١) راجع : قطر الولى .

(٢) الإمام الشوكانى حياته وفكره :د. عبد الغنى قاسم : ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر السابق :ص ٢٢٩، ط .مؤسسة الرسالة . بيروت ، والجيل الجديد ـ صنعاء .

منهج الشوكانى فى التفسير

ما المنهج الذى سار عليه الشوكانى فى تفسيره ؟ :

أسلك المناهج المعبدة ، والطرق المجهدة التى سلكها رجال التفسير قبله ؟

أم كانت له طرقه الخاصة ، وقواعده الدقيقة التى قعدها لنفسه، وسار عليها حتى قدم كتابه العظيم « فتح القدير» ؟ أم أنه بعد الاطلاع والتنقيب، والفحص والتمحيص فى كتب المفسرين اختار مفسراً معيناً فتابعه فى منهجه ، واتخذه دليلاً للسير عليه ؟

إن القارئ المدقق لكتب التفاسير السابقة على الشوكانى يرى أن بعض المفسرين قد اهتم اهتماماً كبيرا باللغة، وبعضهم قد اهتم بالأحكام ، وبعضا ثالثا قد أكثر من المسائل الفلسفية وآراء علماء الكلام ، إلى غير ذلك من الاتجاهات ، والتى يعبر عنها صاحب « كشف الظنون » بقوله:

« فالنحوى تراه ليس له إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ، وإن كانت بعيدة وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه ، وخلافياته كالزجاج والواحدى فى البسيط وأبى حيان فى البحر والنهر ، والإخبارى ليس له شغل إلا القصص ، والإخبار عمن سلف ، سواء كانت صحيحة أو باطلة ، والفقيه يكاد يسرد الفقه جميعاً ، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التى لا تعلق لها بالآية أصلاً . والجواب عن الأدلة للمخالفين كالقرطبى وصاحب العلوم العقلية خصوصاً الإمام الرازى قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة » إلخ .

وإذا كان ذلك كذلك أترى الشوكانى قد أعجبه شيخه ابن جرير الطبرى فسار على نهجه ، واتبع أصوله التى قعدها لنفسه فى التأويل والتفسير والتى لخصها بقوله:

« تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة :

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه وهو الذى استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه.

الثانى: ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر أمته وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم تأويله.

الثالث منها : ما كان علمه عند أهل اللسان الذى نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه لاتوصُل إلى علم ذلك إلا من قبلهم .

فإذا كان ذلك كذلك، فأحق المفسرين بإصابة الحق فى تأويل القرآن أوضحهم حجة فيما تأول وفسر مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة عنه إما من جهة النقل المستفيض ـ فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض . وإما من جهة نقل العدول الأثبات فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض ، أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته. وأوضحهم برهاناً فيما ترجم وبيّن من ذلك مماكان

مدركاً علمه من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة ، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة [١] .

أترى الشوكانى أعجبه هذا المنهج فتعرف على كلياته وجزئياته وشمر عن سواعده وسار عليه حتى وضع كتابه ؟ أم ترى أن هذا المنهج الذى وضعه شيخ المفسرين لا يفى بما عزم عليه، وما أراد الوصول إليه فى عصر جدت فيه متطلبات كثيرة ، ومتغيرات متلاحقة ، الأمر الذى يقتضيه أن يقطع رحلة متأنية فى أغوار كتب التفاسير ليخرج من ذلك بمنهج آخر يفى بحاجة المسلمين فى القرن الثالث عشر الذين وفدت إلى بلادهم فى هجمة بربرية طلاسم الفلاسفة ، وتهويمات المتصوفة ، وتعقيدات الباطنية ، أترى يتجه بشراعه إلى تفسير القرطبى المسمى : (الجامع لأحكام القرآن) عله يجد بين دفتيه طلبته أو يفتح أمامه الطريق إلى إملاء تفسير يجد فيه جماعة المسلمين فى عصره ما يتواكب مع متطلباتهم ، ويغريهم بالعودة إلى كتاب ربهم ؟

إن صاحب (الجامع) يلخص منهجه بقوله:« رأيت أن أكتب تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات ، والرد على أهل الزيغ والضلالات ، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات ، جامعا بين معانيهما ومبيناً ما أشكل منهما بأقاويل السلف ، ومن تبعهم من الخلف . . . » ثم يقول: « وشرطى فى هذا الكتاب : إضافة الأقوال إلى قائليها وكثيراًما يجىء الحديث فى كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم»ثم يقول مكملاً منهجه بقوله :« وأضرب عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين ، إلا ما لابُدّ منه ولا غنى عنه للتبيين ، واعتضت[٢] من ذلك تبيين آى الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم » [٣] .

أترى هذا المنهج فى تفسير القرطبى يرضى طلبته ويحقق رغبته ويفى بما يريده فى تفسيره ، وما تتطلبه نفسه الطلعة. .؟ أم أن الشوكانى يريد شيئاً جديداً لم يسبق إليه وتفسيراً فريداً تتسابق العقول عليه ؟

وإذا كان ذلك كذلك ، أترى يجد طلبته فى كتاب « المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية الأندلسى . إن شيخ الإسلام ابن تيمية يعرف لهذا الكتاب قدره ويفضله على غيره من كتب التفاسير، ويقول عنه : «تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشرى ، وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها ، بل هو خير منه بكثير ، بل لعله أرجح هذه التفاسير» [٤] .

---

(١) راجع : مقدمة التفسير : ص٣١ .

(٢) أى: قصدت وأردت من ذلك .

(٣) راجع : مقدمة التفسير: ص ٣ ، ط . دار الكتب المصرية.

(٤) راجع : مقدمة التفسير لابن تيمية : ص ٨٩ ، ٩٠، ط . دار القرآن الكريم .

إذا كان ذلك كذلك ، فليمخر بشراعه إلى هذا التفسيرويغوص فى أعماقه ويتعرف على جواهره وكنوزه ، ويضع يده على منهجه ودليله يقول صاحب « المحرر الوجيز» :

« فنزعت إلى تعليق مايتنخَّل [١] لى فى المناظرة من علم التفسير وترتيب المعانى وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً ، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به ، وأثبت أقوال العلماء فى المعانى منسوبة إليهم ، على ماتلقى السلف الصالح ــ رضوان الله عليهم ــ كتاب الله تعالى من مقاصده العربية ، السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز ، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم ، وسردت التفسير فى هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم أو نحو ، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لايقع طفر[٢] كما فى كثير من كتب المفسرين»، ثم يقول: « وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها ، واعتمدت تبيين المعانى وجميع محتملات الألفاظ كل ذلك بحسب جهدى ، وما انتهى إليه علمى » [٣] .

ثم ماذا ؟ أترى الشوكانى وقف عند هذا التفسير؟ وألقى رحله فى كنفه ؟ ووجد طلبته عند صاحبه؟

إن المتتبع لحياة الشوكانى العلمية يرى أنه نخل المكتبة الإسلامية وعايشها معايشة كاملة ، وتعرف على كل ما أنتجته العقول من كتب التفاسير ووضع يده عليه ، ثم قرأها قراءة الفاحص المدقق ، قراءة الناقد البصير ، والصيرفى الألمعى الذى يعرف الجوهر الأصيل من البهرج الزائف، والعالم القدير بكتاب ربه الذى تحدى به الثقلين بقوله تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يأْتُون بمثْله ولَوْ كان بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [٤] .

وبعدها قدم منهجه فى التفسير منهجا جامعا شاملا ، فريداً فى بابه ، حوى جواهر ابن جرير ، وعمق القرطبى ، وإيجاز ابن عطية ، وتدقيق ابن كثير، ودرر السيوطى ، وألمعية الشوكانى ،ويعرض منهجه فى التفسير بقوله :

«وطنت النفس على سلوك طريقة هى بالقبول عند الفحول حقيقة، وهاأنا أوضح لك منارها، وأبين لك إيرادها وإصدارها فأقول: إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين، وسلكوا طريقين :

الفريق الأول : اقتصروا فى تفاسيرهم على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية .

والفريق الثانى : جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية ، وما تفيده العلوم الآلية ، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً ، وإن جاؤوا بها لم يصححوا لها أساساً .

وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب، وترك منها ما لايتم بدونه كمال الانتصاب ».

---

(١) نخل الشيء ينخله نخلاً ، وانتخله : صفاه واختاره ، تنخلت : اخترت أجوده . اللسان ١١/ ٦٥١.
(٢) أى الوثب والقفز، والمراد عدم تتبع ألفاظ الآيات . اللسان ٤/ ٥٠١ .
(٣) ينظر : مقدمة التفسير : ص ١٠، ١١، ط الشيخ خليفة بن حمد آل ثان .
(٤) الإسراء : ٨٨ .

ثم قال :

« وبهذا تعرف أنه لابد من الجمع بين الأمرين ، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذى وطنت نفسى عليه ، والمسلك الذى عزمت على سلوكه إن شاء الله ، مع تعرضى للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لى وجهه ، وأخذى من بيان المعنى العربى والإعرابى والبيانى بأوفر نصيب ، والحرص على إيراد ما ثبت من التفاسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو تابعيهم أو الأئمة المعتبرين ، وقد أذكر ما فى إسناده من ضعف ، إما لأن فى المقام مايقويه ، أو لموافقته للمعنى العربى .

وقد أذكر الحديث معزواً إلى راويه من غير بيان حال الإسناد ؛ لأنى أجده فى الأصول التى نقلت عنها كذلك ، كما يقع فى تفسير ابن جرير والقرطبى ، وابن كثير والسيوطى وغيرهم ، ويبعد كل البعد أن يعلموا فى الحديث ضعفاً ولا يبينونه ، ولا ينبغى أن يقال فيما أطلقوه: إنهم علموا ثبوته ، فإن من الجائز أن ينقلوه دون كشف عن حال الإسناد ، بل هذا هو الذى يغلب به الظن ؛ لأنهم لو كشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك ، كما يقع منهم كثيراً التصريح بالصحة أو الحسن ،فمن وجد الأصول التى يروون عنها ، ويعزون ما فى تفاسيرهم إليها فلينظر فى أسانيدها موفقاً إن شاء الله .

واعلم أن تفسير السيوطى المسمى بـ « الدر المنثور » قد اشتمل على غالب ما فى تفاسير السلف من التفاسير المرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتفاسير الصحابة من بعدهم ، وما فاته إلا القليل النادر ، وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو إليه الحاجة منه مما يتعلق بالتفسير ، مع اختصار لما تكرر لفظاً واتحد معنى .

وضممت إلى ذلك فوائد لم يشتمل عليها ، وجدتها فى غيره من تفاسير علماء الرواية ، أومن الفوائد التى لاحت لى من تصحيح ، أوتحسين أو تضعيف أوتعقب ، أو جمع أو ترجيح .

وهذا التفسير ــ وإن كبر حجمه ــ فقد كثر علمه ، وتوفر من التحقيق قسمه، وأصاب غرض الحق سهمه ، واشتمل على ما فى كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع زوائد فرائد ، وقواعد شرائد ، ثم أرجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية ، ثم أنظر فى هذا التفسير بعد النظرين ، فعند ذلك يسفر الصبح لذى عينين ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب اللباب ، وعجب العجاب ، وذخيرة الطلاب ، ونهاية مآرب أولى الألباب » [1] .

هذا هو المنهج الإجمالى الذى ارتضاه الشوكانى لنفسه وسار على قواعده التى قعدها حتى انتهى من كتابة التفسير ، والذى نوضحه فيما يلى :

أولاً : الجمع بين التفسير بالرواية والدراية ، والمقارنة بين التفاسير التى سبقته والترجيح بين آرائها .

(١) راجع :مقدمة التفسير : ص ١٢ ، ١٣، ط. دار المعرفة ، بيروت .

ثانياً : العناية باللغة أشد العناية ؛ لأن اللغة العربية بما فيها من إعراب للكلمات وبيان لمواقفها، وتوضيح للاتصال بينها، وتصريف للمشتقات منها هى أهم الأسلحة التى يجب أن يتسلح بها من يريد أن يقدم على تفسير كتاب الله تعالى. والشوكانى له فى ذلك باع طويل ، ولقد قدم للمكتبة العربية كتابه: «نزهة الأحداق فى علم الاشتقاق». مما يدل على اهتمامه باللغة وحرصه عليها، والتزاماً بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلاً سأله: أى علم القرآن أفضل؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «عربيته فالتمسوها فى الشعر»(١). وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه، فإن الله يحب أن يعرب» (٢).

ولقد رجع الشوكانى إلى العديد من مصادر اللغة العربية مثل : كتاب الزاهر لابن الأنبارى محمد بن القاسم بن محمد ٢٧١ـ ٣٢٨هـ ، وكتاب تهذيب اللغة للأزهرى محمد بن أحمد ٢٨٢ـ ٣٧٠ هـ، وكتاب الجوهرة لابن دريد محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ ، وكتاب الصحاح فى اللغة للجوهرى أبو نصر إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ ، وغير ذلك كثير.

ثالثاً : عنايته بالبيان والبديع؛ ولهذا يقول صاحب الكشاف :« لا يغوص على شىء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعانى ، وعلم البيان ، وتمهل فى ارتيادهما آونة وتعب فى التنقيب عنهما أزمنة »(٣).

ولا شك أن الشوكانى استفرغ الجهد فى هذين العلمين وقدم لنا كتابه القيم : « الروض الوسيع فى الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع » .

رابعاً : الاهتمام بإيراد ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والمتصفح لتفسيره يرى أن الأخبار المرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم والتى صح سندها قليلة بالنسبة إلى جانب المأثور عن الصحابة والتابعين، وأكثر مروياته فى التفسير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ثم عن على ـ رضى الله عنه ـ وتأتى الرواية عن بقية الصحابة بعدهما، وجل اعتماده على تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم وعبد الرزاق وعبد بن حميد، ومن المتأخرين يعول على تفسير ابن كثير والدر المنثور للسيوطى.

خامساً : الاهتمام بذكر كل القراءات الصحيح والشاذ ، ويبدأ بذكر القراءات الصحيحة ثم يذكر القراءات الشاذة ، وينبه دائماً على شذوذها ، ونراه فى كثير من الأحيان يعلل وينتقد ويستند فى ذلك على رده لها إلى قواعد اللغة أو قواعد النحو، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة

---

(١) يشهد لذلك ما رواه ابن الأنبارى عن أبى بكر الصديق قال : لأن أعرب آية من القرآن أحبُّ إلىَّ من أن أحفظ آية ، وروى البيهقى فى الشعب عن مالك قال : لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً .

(٢) رواه أبو يعلى والبيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « أعربوا القرآن يدلكم على تأويله » . والإعراب: البيان . ولنظام الدين النيسابورى تفسير سماه : غرائب القرآن ورغائب الفرقان .

(٣) راجع : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ١ /١٦ ، ط . دار الفكر العربى ١٣هـ ـ١٩٧٧م .

فى كتابه .

سادساً : يقرر أن كتابه هذا اشتمل على ما فى كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع زوائد فرائد ، وقواعد شرائد .

وإذاكان ذلك كذلك، فما هو المنهج التفصيلى الذى اتبعه فى تفسيره حتى جاء بالزوائد الفرائد والقواعد الشرائد ؟

يقول الدكتور محمد حسن بن أحمد الغمارى : « درج فى شرح الآية أو الآيات على أنه يفصل القول على الترتيب التالى :

أ ــ بيان كون السورة من المكى أو المدنى .

ب ــ الدلالة على فضلها .

جـ ــ بيان الحروف المقطعة .

د ــ الاهتمام باللغة وأسباب النزول ثم الإعراب .

هـ ــ المعنى الإجمالى للآية .

و ــ الختم بالرواية وإيراد بعض الآثار [١] .

وعلى هذا ، فتفسير الشوكانى وحيد من حيث جمعه وترتيبه ، وحسن أدائه واستيعابه لأنواع علوم القرآن وجمعه بين الدراية والرواية . هذه أهم المميزات التى امتاز بها الشوكانى بالإضافة إلى أشياء كثيرة يلمسها الباحث عند استعراضه لقراءة هذا التفسير . منها نقده لمدرسة الاعتزال وبعض آراء الزيدية وهو منهم ، وإنصافه للكثير من الآراء التى نادت بها المدرسة السلفية، وإذا كان ذلك كذلك، فما موقف الشوكانى من تفسير آيات الصفات ؟ والتناسب بين الآيات ؟ ومن الأحاديث الضعيفة ؟ ومن الإسرائيليات ؟ هذا ما سنوضحه فيما يلى :

١ــ الشوكانى وقضية الصفات :

ما موقف الشوكانى من قضية الصفات ؟ أتراه كان معتقده فى ذلك معتقد المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة ؟ وهم يقولون : إنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه ، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً ، وأنه انقلب من الامتناع الذاتى إلى الإمكان الذاتى .

أم كان هواه مع ابن كلاب والأشعرى ومن وافقهما فى قولهم: إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه، وأما الكلام عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شىء واحد لازم لذاته[٢].

أم تراه واكب أبا حنيفة فى فقهه الأكبر، وما نادى به نعيم بن حماد وإسحاق بن راهويه ؟

---

(١) راجع : الإمام الشوكانى مفسرًا للدكتور محمد حسن الغمارى : ص ١٤٩ .
(٢) راجع : شرح العقيدة الطحاوية بتحقيقنا ١/ ١٤٤ .

إن الإمام أبا حنيفة يقول : لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، ثم قال : وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا . .

وقال نعيم بن حماد : من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تشبيه .

وقال إسحاق بن راهويه : من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله، فهو كافر بالله العظيم .

وقال علامة جهم وأصحابه :دعواهم على أهل السنة والجماعة ـ ما أولعوا به من الكذب ـ أنهم مشبهة بل هم المعطلة[١] . أم أنه سار على ما سارت عليه المدرسة السلفية فى إثبات الصفات وإجرائها على ظواهرها ونفى الكيفية عنها كما قال الإمـام مالك ــ رضى الله عنه ــ: « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب » .

إن الفاحص المدقق لما كتبه الشوكانى فى تفسيره وفى غيره من المؤلفات والمصنفات يرى أنه تابع المدرسة السلفية فى كثير من آرائها وخصوصاً ما قررته فى الصفات والأسماء .

ويطيب لنا فى هذه العجالة أن نقدم نموذجاً لمعتقد الشوكانى فى الصفات عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٢].

قال الشوكانى : قد اختلف العلماء فى معنى هذا على أربعة عشر قولاً :وأحقها وأولاها للصواب مذهب السلف الصالح : أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف ، بل على الوجه الذى يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه . والاستواء فى لغة العرب :هو العلو والاستقرار .قال الجوهرى : استوى على ظهر دابته : أى استقر ، واستوى إلى السماء : أى صعد . واستوى: أى استولى وظهر ، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق [٣]

وفى قوله تعالى :﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ [٤] قال أحمد بن يحيى : قال ثعلب: الاستواء : الإقبال على الشيء ، وكذا قال الزجاج والفراء . وقيل : هو كناية عن الملك والسلطان ، والبحث فى تحقيق هذا يطول .

ثم يقول : والذى ذهب إليه أبو الحسن الأشعرى : أنه سبحانه مستو على عرشه بغير حد ولا كيف ، وإلى هذا سبقه الجماهير من السلف الصالح الذين يمرون الصفات كما وردت من

(١) المصدر السابق ١/ ١٣٢ . (٢) الأعراف : ٥٤ .
(٣) راجع : فتح القدير ، سورة الأعراف: آية رقم ٥٤ . (٤) طه : ٥ .

دون تحريف ولا تأويل [١] .

ومن هنا نرى أن الشوكانى واكب مدرسة السلف فى باب الصفات حيث إنهم يثبتون ماأثبته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله .

قال أبوداود الطيالسى : كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة : لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون يروون الحديث ولا يقولون : كيف ؟ وإذا سئلوا قالوا بالأثر [٢] .

قال أبو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ: له يد ووجه ونفس كما ذكر تعالى فى القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف ولا يقال : إن يده قدرته ونعمته ؛ لأن فيه إبطال الصفة. انتهى .

وهذا الذى قاله الإمام رضى الله عنه ثابت بالقرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾ [٤]. وقال تعالى : ﴿ **تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك** ﴾[٥] ، وقال تعالى: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ [٦] وقال : ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾[٧] ، وقال : ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ [٨] ،وقال تعالى : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾[٩] ، وقال تعالى : ﴿ **كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ [١٠].

وكل هذه الأشياء تدل دلالة قاطعة على أن الشوكانى سلفى المعتقد فى تفسيره ، ولقد كان المصنفان شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وتفسير ابن كثير الذى رجع إليه فى كثير من الأحيان أثره الكبير فيما ذهب إليه من آراء وقعده من قواعد وأفكار .

٢ــ الشوكانى وتناسب الآيات والسور :

ما هى قضية تناسب الآيات والسور التى أثارها الشوكانى فى تفسيره ؟

أهى قضية جديدة ، وعلم مبتكر لم يعرفه رجالات التفسير فى العصور السابقة ؟

أعنى أن هذا العلم لم تعرفه الطبقة الأولى من المفسرين أمثال : عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ولم تعرفه الطبقة الثانية من التابعين أمثال : سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك ، ولم يعرفه شيخ المفسرين الذى قال عنه أبوحامد الإسفراييني : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً .ولم يعرفه صاحب المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز الذى قال عنه أبوحيان : أجل ما صنف فى علم

(١) فتح القدير، سورة طه: آية رقم ٥ .
(٢) راجع : شرح الطحاوية بتحقيقنا ١/ ٢٨٤ . (٣) ص : ٧٥ . (٤) الزمر: ٦٧ .
(٥) المائدة: ١١٦ . (٦) الأنعام: ٥٤. (٧) طه: ٤١. (٨) آل عمران: ٢٨ .
(٩) القصص : ٨٨ . (١٠) الرحمن : ٢٦ ،٢٧.

التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح والتحرير ، وهل البقاعى صاحب هذه الفكرة ؟ وهل هو أول من كتب عنها وتناولها من المفسرين والمؤولين ؟

إن القارئ للمقدمة التى كتبها البقاعى لكتابه : « نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور » يشعر للوهلة الأولى أنه فارس حلبتها وعملاق فكرتها ؛ لأنه يقول :« وبعد : فهذا كتاب عجاب، رفيع الجناب فى فن ما رأيت من سبقنى إليه ولا عول ثاقب فكره عليه ، أذكر فيه ــ إن شاء الله ــ مناسبات ترتيب السور والآيات أطلت فيه التدبر، وأنعمت فيه التفكر لآيات الله امتثالاً لقوله: ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (١) .

ولكن صاحب كتاب « البرهان فى علوم القرآن » يضع فى كتابه فصلاً عنونه بقوله : معرفة المناسبات بين الآيات . قال فيه : « وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فى كتابه « البرهان فى مناسبة ترتيب القرآن» وتفسير الإمام فخر الدين الرازى فيه شىء كثير من ذلك .

ثم يقول : « واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول . والمناسبة فى اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلانا ، أى يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب ، أى القريب المتصل ، ومنه المناسبة فى العلة فى باب القياس : الوصف المقارب للحكم . وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط . ويقول فخر الدين الرازى : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط » (٢) .

وإذا كان ذلك كذلك، فماذا ينقم الشوكانى من هذا العلم ؟

قال الشوكانى عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٣) :

« اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا فى بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم فى فن لايعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم فى التكلم بمحض الرأى المنهى عنه فى الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود فى المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الأنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف ، كما فعله البقاعى فى تفسيره ، ومن تقدمه حسبما ذكر فى خطبته ، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى أن قبضه الله ــ عز وجل ــ إليه .

---

(١) ص: ٢٩ . (٢) راجع: البرهان فى علوم القرآن: ص ٣٥ ، ٣٦ . (٣) البقرة: ٤٠ .

وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية لنزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها ، بل قد تكون متناقضة لتحريم أمر كان حلالاً ، وتحليل أمر كان حراماً ، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله .

وتارة يكون الكلام مع المسلمين ، وتارة مع الكافرين ، وتارة مع من مضى ، وتارة مع من حضر ، وحيناً فى عبادة ، وحيناً فى معاملة ، ووقتاً فى ترغيب ، ووقتاً فى ترهيب ، وآونة فى بشارة، وآونة فى نذارة ، وطوراً فى أمر دنيا ، وطوراً فى أمر آخرة ، ومرة فى تكاليف آتية، ومرة فى أقاصيص ماضية . وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ، ومتباينة هذا التباين الذى لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون ، والماء والنار ، والملاح والحادى ؟ وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك ، وتوسيع دائرة الريب على من فى قلبه مرض ، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور ؟ .

فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون فى التناسب بين جميع آى القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا أمر لابد منه ، وأنه لا يكون القرآن بلاغياً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضى للمناسبة، وتبين الأمر الموجب للارتباط ، فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون فى ذلك فوجده تكلفاً محضاً وتعسفاً بيناً انقدح فى قلبه ما كان عنه فى عافية وسلامة .

هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن فى المصحف ، فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب ، وأيسر حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك ؟

ومن شك فى هذا ــ وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم ــ رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول ، المطلعين على حوادث النبوة ، فإنه ينثلج صدره ويزول عنه الريب بالنظر فى سورة من السور المتوسطة فضلاً عن المطولة ؛ لأنه لامحالة يجدها مشتملة على آيات نزلت فى حوادث مختلفة ، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها، وما نزل فيها فى الترتيب ، بل يكفى المقصر أن يعلم أن أول مانزل: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾[١] ،وبعده : ﴿ **يأيها المدثر**﴾ [٢] ، ﴿ **يأيها المزمل**﴾[٣] . وينظر أين موضع هذه الآيات والسور فى ترتيب المصحف؟

وإذا كان الأمر هكذا ، فأى معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم فى ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً ، وتأخر ما أنزله الله متقدماً ، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن ، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة ، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته ، وأحقر فائدته، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات ، وإنفاق الساعات فى أمر لا يعود بنفع على فاعله ، ولا على من يقف

(١) العلق : ١ . (٢) المدثر : ١ . (٣) المزمل : ١ .

عليه من الناس وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ماقاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته ، أو إلى ما قاله شاعرمن الشعراء من القصائد التى تكون تارة مدحاً، وأخرى هجاء ، وحيناً نسيبا ، وحيناً رثاء ، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدى إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ، ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين الخطبة التى خطبها فى الجهاد ، والخطبة التى خطبها فى الحج ، والخطبة التى خطبها فى النكاح ونحو ذلك ،وناسب بين الإنشاء الكائن فى العزاء ، والإنشاء الكائن فى الهناء وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدى لمثل هذا مصاباً فى عقله متلاعباً بأوقاته ، عابثاً بعمره الذى هو رأس ماله .

وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة ، وهو ركوب الأحموقة فى كلام البشر، فكيف تراه يكون فى كلام الله سبحانه الذى أعجزت بلاغته بلغاء العرب ، وأبكمت فصاحته عدنان وقحطان ؟

وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربى وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم فى الكلام ، وجرى به مجاريهم فى الخطاب .

وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتى بفنون متخالفة ، وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين ، فضلاً عن المقامات ، فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حياً وكذلك شاعرهم .

ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التى تعثر فى ساحاتها كثير من المحققين ، وإنما ذكرنا هذا البحث فى هذا الموطن؛ لأن الكلام هنا قد انتقل مع بنى إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبى البشر ــ آدم عليه السلام ــ فإذا قال متكلف :كيف ناسب هذا ما قبله . . ؟

قلنا : لا كيف .

فدع عنك نهبا صيح فى حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل [١]

هذا ماقاله الشوكانى فى تناسب الآيات والسور ، وشرح فيه وجهة نظره ، وانتهى فى النهاية إلى عدم جدوى هذا الفن الذى سار فيه البقاعى ومن سبقه من العلماء .

وهذه النتيجة التى توصل إليها الشوكانى فى علم تناسب الآيات والسور قد سبقه إليها سلطان العلماء ــ العز بن عبد السلام [٢] ــ حيث قال : « المناسبة علم حسن ، ولكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر» .

قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله فى

(١) راجع : فتح القدير سورة البقرة : آية رقم ٤٠ .

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعز ، ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفى سنة ٦٦٠هـ . راجع : ترجمة وافية له فى طبقات الشافعية ٥/ ٨٠ ــ ١٠٧ .

خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب ، كتصرف الملوك والحكام والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ، مع اختلافها فى نفسها واختلاف أوقاتها » . انتهى .

هذه هى وجهة نظر العالم الكبير العز بن عبد السلام ، حيث يرى أن التناسب بين الآيات والسور مركبٌ صعب ، ويكاد يكون من الأمور المتعسرة بل والمستحيلة .

وإذا رجعنا إلى الإمام بدر الدين الزركشى فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » نراه يؤيد هذا العلم ويطالب به ويقدم الأدلة على إمكانه من ذلك : « قلت: وهو مبنى على أن ترتيب السور توقيفى ، وهذا [هو] الراجح كما سيأتى ، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ، ويظهر أخرى . كافتتاح سورة الأنعام بـ﴿**الحمد** ﴾ فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه : ﴿ **وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (١) .

وكافتتاح سورة فاطر بـ﴿ **الْحَمْدُ** ﴾ (٢) أيضاً، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله تعالى : ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ** ﴾ (٣) .

وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح . قال تعالى : ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (٤) ،فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به . قال تعالى : ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ (٥) .

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتى قبلها؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة .

فذكر هنا فى مقابلة البخل ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ (٦) ،أى الكثير، وفى مقابلة ترك الصلاة ﴿ **فصل** ﴾ أى دُمْ عليها، وفى مقابلة الرياء ﴿ **لربك** ﴾ أى لرضاه لا للناس ، وفى مقابلة منع الماعون ﴿ **وانحر**﴾ وأراد به: التصدق بلحم الأضاحى، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح ، وسورة الكهف بالتحميد ؛ لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد، يقال : سبحان الله والحمد لله (٧) .

هذه أهم الحجج التى ذكرها صاحب « البرهان فى علوم القرآن » ، ولا شك أن ما ذكره الشوكانى هو حق وصدق والنفس بفطرتها تميل إليه، وكذلك ما ذكره الزركشى ، لايقبل النقض بعد أن قدم الدليل عليه وصدق ربى فى قوله : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ (٨) .

---

(١) الزمر: ٧٥ . (٢) فاطر : ١ . (٣) سبأ : ٥٤ .
(٤) الحديد : ١ . (٥) الواقعة : ٩٦ . (٦) الكوثر : ١ .
(٧) راجع : البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٨ ، ٣٩ . (٨) هود : ١١٨ .

٣ـ الشوكانى وموقفه من الإسرائيليات :

ما هى الإسرائيليات ؟ وما صلتها بكتب التراث الإسلامى بعامة ؟ وكتب التفسير على وجه الخصوص ؟ أنعنى بها الأفكار والآراء التى جاءت عن طريق اليهود ؟ أم أن المقصود بها ما جاء عن طريق أهل الكتاب ، سواء أكان ذلك عن طريق اليهود أم النصارى ؟

الواقع أن الإسرائيليات إذا ذكرت تشمل ما جاء عن طريق الفكر اليهودى وما جاء عن طريق الفكر النصرانى، وأطلق على الجميع لفظ : «الإسرائيليات» من باب التغليب للفكر اليهودى على الفكرالنصرانى؛ لأن الأول هو الذى اشتهر أمره فكثر النقل عنه وذلك لكثرة علمائهم وظهور أمرهم وشدة اختلاطهم بجماعة المسلمين . يقول صاحب كتاب التفسير والمفسرون : « ولقد كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسرون من أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيئ فى التفسير ؛ ذلك لأن الأمر لم يقف على ماكان عليه فى عهد الصحابة ، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً ، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالى المخترع مما جعل الناظر فى كتب التفسير التى هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها ، لاعتقاده أن الكل من واد واحد .

وفى الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات ، وضعوا الشوك فى طريق المشتغلين بالتفسير وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب ، وأخبار لا تصح .

كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التى لا يكاد يصح منها شىء إلى بعض من آمن من أهل الكتاب جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة » (١) .

ويعلل ابن خلدون الأسباب التى جعلت بعض المسلمين يستمعون إلى أهل الكتاب ويأخذون منهم الغث والسمين إلى « أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولاعلم ، وإنما غلب عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ــ وهم يسكنون البادية ــ ولاتحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم ، وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة » (٢) .

وإذا كان ذلك كذلك، فما موقف الشوكانى من الإسرائيليات ؟ أتراه وقف على أضرارها ، وتبين ضلالها فعمل على تنقية كتابه منها ؟ أم أنه سار على نهج من سبقه من رجالات التفسير فكتب ما كتبوه ، ونقل عنهم خزعبلات الإسرائيليين ، وتفاهات الجاهلين ؟

إن الدكتور الغمارى ــ صاحب كتاب :« الإمام الشوكانى مفسراً » ــ يقول : « تفسير الشوكانى يمتاز عن غيره بقلة الإسرائيليات بل تكاد لا توجد فيه إلا للرد عليها » (٣) .

---

(١) راجع : التفسير والمفسرون ١/ ١٧٧ .
(٢) راجع :مقدمة ابن خلدون : ص٤٩٠ ، ٤٩١ .
(٣) راجع : الإمام الشوكانى مفسراً : ص ٢٧٩ .

نحن نختلف مع الدكتور الغمارى فيما ذهب إليه ودليلنا على ذلك : « أن قصة هاروت وماروت والتى حشيت بها الكثير من كتب التفاسير والادعاء الذى ذكره عطاء عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ والذى قال فيه : كان ابن عمر إذا رأى الزهرة وسهيلا سبهما وشتمهما، ويقول : إن سهيلاً كان عشاراً باليمن يظلم الناس ، وأن الزهرة صاحبة هاروت وماروت». ذكره الشوكانى فى تفسيره [١] ، مرة أخرى ـ بالرغم ـ من نقد الفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ لهذه القصة بقوله :

« فهذه القصة قصة ركيكة يشهد كل عقل سليم بنهاية ركاكتها » ثم يقول : « إن المرأة الفاجرة كيف يعقل أنها لما فجرت صعدت إلى السماء ؟ وجعلها الله تعالى كوكباً مضيئاً وعظم قدره بحيث أقسم به فى قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [٢] » [٣] .

ويقول القرطبى المتوفى سنة ٦٧٠هـ : « هذا كله ضعف وبعيد عن ابن عمر وغيره ، ولا يصح منه شيء ، فإنه قول تدفعه الأصول فى الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه وسفراؤه إلى رسله لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون » . ثم يقول : « ومما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ، وفى الخبر أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوارة : زحل ، والمشترى ، وبهرام ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس، والقمر . وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٤] ، فثبت أن الزهرة وسهيلاً قد كانا قبل خلق آدم » [٥] .

قال ذلك الفخر الرازى والقرطبى فى القرن السابع الهجرى ، ثم يأتى الشوكانى بعد خمسة قرون ليردد ما ردده بعض المفسرين السابقين ، ويعقب على ذلك بقوله : « وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى » [٦] ،ثم ذكرالحجج القوية التى ذكرها القرطبى آنفاً .

والسؤال : ألم يكن فى الإمكان تنقية تفسيره من مثل هذه الإسرائيليات ما دام من سبقه من المفسرين قد كفاه مؤنة الرد عليها ؟

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ [٧] ذكر الشوكانى فى تفسيره ما ذكره المفسرون قبله من تفسير «السكينة » بالإسرائيليات ، والتى لا طائل فيها .

(١) راجع : فتح القدير، سورة البقرة : آية رقم ١٠٢ .
(٢) التكوير: ١٥، ١٦ .
(٣) راجع: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ٢/ ١٧٠ .
(٤) يس : ٤٠ .
(٥)راجع : تفسير القرطبى ٢/ ٥٢ .
(٦) راجع: فتح القدير سورة البقرة: آية رقم ١٠٢ .
(٧) البقرة : ٢٤٨ .

ولقد رد ابن عطية فى تفسيره على هذه الإسرائيليات بقوله : « والصحيح كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس وتقوى»(١) .

ونفى القرطبى فى تفسيره كل هذه الإسرائيليات التى ذكرها المفسرون بشأن السكينة ، وخلص من ذلك إلى أن السكينة ما تنزل به الملائكة بإذن ربها على قلوب المؤمنين (٢) .

وكان يكفى الشوكانى هذه الردود ويعمل على تنقية تفسيره من كل هذه الخزعبلات التى حشيت بها الكثير والكثير من كتب التفاسير السابقة .

صحيح أنه قال : « وأقول: هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمأهم الله، فجاؤوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين » (٣) .

وإذا كان الشوكانى قد ردد ما جاء به رجالات التفسير السابقين عليه فأين ما قاله فى مقدمة كتابه ووعد به ، بأن تفسيره يحوى بدائع الفوائد ، مع زوائد فرائد ، وقواعد شرائد ؟

٤ ــ الشوكانى والأحاديث الضعيفة :

ما هو الحديث الضعيف فى عرف رجال الحديث ؟ أهو الحديث الذى سقط من سنده أحد الرواة ؟ أهو الحديث الذى لم ينقل عن العدول الثقات ؟ أهو الحديث الذى لم يسلم من الشذوذ والعلة ؟ أم أنه الذى تتحقق فيه هذه الأشياء مجتمعة ؟ وإذا كان ذلك كذلك أيجوز العمل به فى فضائل الأعمال ؟

إن جمهور العلماء يجوزون العمل به فى ذلك شريطة ألا يكون ضعفه شديدًا ، أو له أصل مشاهد يندرج تحته .

وهناك من الأئمة من ذهب إلى أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقًا لا فى الأحكام ، ولا فى فضائل الأعمال ، ومن هؤلاء العلماء : يحيى بن معين ت ٢٣٣ هـ ، ومحمد بن إسماعيل البخارى ت ٢٥٦ هـ ، ومسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ، وعلى بن أحمد المعروف بابن حزم ت ٥٤٦ هـ .

وحجة هؤلاء أن الحديث الضعيف ليس بثابت ، بل الأغلب أنه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف نلزم عباد الله بما لم يثبت لنا أنه مما شرعه الله ؟

يقول جلال الدين محمد بن سعد الدوانى الشافعى ت ٩٠٨ هـ : « وفى العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال إشكال ؛ لأن جواز العمل واستحبابه كلاهما من الأعمال الشرعية الخمسة، فإذا استحب العمل بمقتضى الحديث الضعيف كان ثبوته ــ أى ثبوت هذا الاستحباب ــ

(١) راجع : المحرر الوجيز . (٢) راجع : تفسير القرطبى ٣/ ٢٤٩ .
(٣) راجع : فتح القدير ، سورة البقرة : آية رقم ٢٤٨ .

بالحديث الضعيف ، وهذا ينافى ما تقرر من عدم ثبوت الأحكام بالأحاديث الضعيفة » (١) .

وقال ابن تيمية : « ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذى لا يحتج به ، فإن الاستحباب حكم شرعى ، فلا يثبت إلا بدليل شرعى ، ومن أخبر عن الله تعالى أنه يحب عملاً من غير دليل شرعى فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم » (٢) .

ويقول الخطيب البغدادى فى الكفاية . « ولو عمل العالم بخبر من ليس هو عنده عدلاً لم يكن عدلاً يجوز الأخذ بقوله والرجوع إلى تعديله ؛ لأنه إذا احتملت أمانته أن يعمل بخبر من ليس بعدل عنده ، احتملت أمانته أن يزكى ويعدل من ليس بعدل » (٣) .

وإذا كان ذلك كذلك، فما موقف الشوكانى من الأحاديث الضعيفة ؟ يقول صاحب كتاب التفسير والمفسرون : « غير أنى آخذ عليه ــ كرجل من أهل الحديث ــ أنه يذكر كثيرًا من الروايات الموضوعة أو الضعيفة ، ويمر عليها بدون أن ينبه عليها ، فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ (٤)، وقوله فى الآية ٦٧ من سورة المائدة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ . يذكر ماهو موضوع على ألسن الشيعة ولا ينبه على أنها موضوعة ، مع أنه يقرر عدم صلاحية مثل هذه الروايات للاستدلال على إمامة على ، من ذلك قوله :

« وأخرج الخطيب فى المتفق والمفترق عن ابن عباس قال : تصدق على بخاتم وهو راكع فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم للسائل: « من أعطاك هذا الخاتم ؟ » قال : ذاك الراكع . . ؟ فأنزل الله فيه : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله** ﴾ ، ثم يمر على هذه الرواية الموضوعة ــ باتفاق أهل العلم ــ ولا ينبه على ما فيها . وفى الآية الثانية نجده يروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : نزلت هذه الآية: ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك** ﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم فى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

ويروى عن ابن مسعود أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ــ إن عليًا مولى المؤمنين ــ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»، ثم يمر على هاتين الروايتين بدون أن يعترضهما بشىء أصلاً»(٥) .

ويتلمس الدكتور الغمارى الأعذار للإمام الشوكانى قائلاً : « ولعل الشوكانى قد أغض عن نقد الروايات التى وردت فى على ــ رضى الله عنه ــ لأنه فى الأصل هادوىٌ وكان المجتمع لا

(١) راجع : قواعد التحديث : ص ٩٩ .
(٢) راجع : مجموع الفتاوى ١٨ / ٦٥ .
(٣) راجع : الكفاية : ص١٥٥ .
(٤) المائدة : ٥٥ .
(٥) راجع : التفسير والمفسرون ٢ / ٢٥٠ .

يسمح له بذلك لما كان يواجه من المشاكل التى طالما بث شكواه بها لكل من يثق به » [١] .

ولكن الدكتور الغمارى الذى اعتذر عن الشوكانى فى الروايات الخاصة بالإمام على ــ رضى الله عنه ــ يقول فى موضع آخر : « لقد وجدت بعض المآخذ ، ولا ينقص ذلك من قيمة تفسيره العظيم » . ثم يذكر بعضها قائلاً :

« ومنها سكوته عن تفسير مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ [٢] ، قال : أخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن مجاهد فى قوله : ﴿ **أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها . ويمر الشوكانى ويسكت على هذا التفسير مع أن الله تعالى يقول : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [٣] » [٤] .

وإبليس من جملة المخلوقين لعبادته لا لمعصيته ، والحديث من طريق عبد الوهاب بن مجاهد ، وهو ضعيف ، ومعناه باطل مخالف للقرآن الكريم ، وفى رواية أخرى عند الطبرى : حدثنى ابن المثنى ، حدثنا حجاج بن المنهال قال : حدثنا المعتمر بن سليمان قال : سمعت عبد الوهاب بن مجاهد يحدث عن أبيه فى قوله : ﴿ **إنى أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها [٥] .

قال الشيخ أحمد شاكر : وأما هذا الأثر بزيادة : وعلم من آدم الطاعة . فلم نجده فى موضع آخر ، وقد روى الأثر الأول سفيان الثورى عن مجاهد ولم يروه إلا من طريق ابنه عبد الوهاب . قال سفيان : عبد الوهاب كذاب ، وقال أحمد : لم يسمع من أبيه ، ليس بشىء ، ضعيف الحديث . وضعفه ابن معين وأبو حاتم [٦] .

وترك النقد من الشوكانى مع معرفته مما ينتقد [لا يجوز] ، لا سيما وأنه ألف فى الموضوعات كتابًا أسماه : «الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة » [٧] .

ثم ماذا ؟ لا شك أن هناك بعض الهنات القليلة الموجودة فى تفسير الشوكانى ، ولكن مع وجود هذه الأشياء ، فلا شك أن الشوكانى كان فارس عصره ، وعملاق زمانه ، بما كتبه فى هذا التفسير وبما سطره وصنفه فى الفنون المختلفة ، الذى يجعله فى صف واحد مع أجلاء علماء التفسير أمثال : الطبرى ، وابن كثير ، وابن عطية ، والقرطبى ، والفخر الرازى .

---

(١) راجع : البدر الطالع ٢ / ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، والتقصار : ص ٦٨ ــ ٧٠ نقلاً من الإمام الشوكانى مفسرًا للدكتور محمد حسن الغمارى .

(٢) البقرة : ٣٠ . (٣) الذاريات : ٥٦ .

(٤) فتح القدير ، سورة البقرة : آية رقم ٣٠ ، نقلاً من الإمام الشوكانى مفسرًا .

(٥) راجع . تفسير مجاهد ١ / ٤٦ ، والطبرى ١ / ٤٧٨ ، والدر المنثور ١ / ٤٦ .

(٦) راجع : الميزان ٢ / ٦٨٢ ، ٦٨٣ . (٧) راجع : تفسير الطبرى ١ / ٤٧٨ .

عملنا فى هذا السفر الكبير

هل يستطيع الإنسان ــ فى عالمنا المعاصر ــ أن يعبر عن ذاته ، أو يقدم وصفًا لبعض أعماله أمام الآخرين وفيهم المادح والقادح ؟

وإن كان فى مقدوره ذلك أتراه يلتزم الدقة والموضوعية فيما سطرته براعته من قول أو يقدمه من عمل ؟

إن من أصعب الأشياء على النفس المؤمنة أن يقف صاحبها ليتكلم عن مجهوداتها أو يستعرض عملاً من أعمالها . وخصوصًا إذا كانت هذه الأعمال يبغي بها وجه الله تعالى ويرجوه فى يوم قال عنه : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (١) ، ويخافه فى يوم قال عنه : ﴿ يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر ﴾ (٢) .

إذا كان ذلك كذلك، فأقول: إن العمل فى كتب التراث عمل شاق ومرهق ، ترى فيه المسلك الوعر والطرق المتشعبة. والسلوك فى دروبه يحتاج إلى الكثير من تقى ذوى الإيمان الخالص الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «التقى ملجم»(٣)، ويحتاج إلى شفافية ذوى البصائر التى قال عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»(٤)، وفى نفس الوقت: يحتاج إلى همم الرجال، وصلابة الأبطال،وصبر الصابرين وعزيمة المنقبين الباحثين.

ولا شك أن الأمر تكون أعباؤه أكبر ، ومسؤولياته أضخم ، إذا كان العمل فى كتب التراث يتعلق بتفسير كتاب الله تعالى ، أو بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وكتاب فتح القدير للإمام الشوكانى فى تفسير القرآن الكريم يعد من صفوة كتب التراث التى تفخر بها الأمة الإسلامية ، ولقد كتبه صاحبه بعد سياحة متأنية فى كتاب الله تعالى استغرقت عشرات السنوات من عمره المديد ، وأيضاً بعد دراسة فاحصة متعمقة لسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نخله للمكتبة الإسلامية بكل علومها وفنونها ، ومعايشتها معايشة كاملة .

أضف إلى ذلك عقلاً ألمعيًا وذهنًا متفتحًا ، وموهبة من الله تعالى محلقة كانت عونه الأول فى إنجاز هذا العمل الكبير.

هذا عن الكتاب ، أما عن بداية عملى فيه ، فقد مرت علىَّ نكبات قاسية مؤلمة تذهب بلب الحليم .

وليل من الأحداث ممتد وداجٍ ، عايشته معايشة كاملة حتى أننى تصورت ــ فى لحظة من

---

(١) الكهف: ٤٩ . (٢) الطارق: ٩ ، ١٠ . (٣) راجع: تفسير القرطبى .

(٤) رواه الطبرانى والترمذى من حديث أبى أمامة وأخرجه الترمذى أيضًا من حديث أبى سعيد ، وقال النجم : «رواه البخارى فى التاريخ والترمذى والعسكرى وابن جرير » .

اللحظات ــ أنه ليس له آخر. واتهامات باطلة وأقاويل مفتراة حاصرتنى من كل جانب من بعض أدعياء العلم وتجار المبادئ الزائفة الذين عبر عنهم القرآن بقوله تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (١) ولما لم تكن هناك من وسيلة للخروج من هذا الليل المظلم . فلقد لزمت دارى وأغلقت علىَّ بابى ، وأخذت نفسى بقول الله تعالى : ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ (٢) .

وعكفت على كتاب الله تعالى أستلهم الرشد والسداد فى آياته ، وأطلب من ربى ــ من خلال تلاوته ــ الهداية والتوفيق .

وفى غمرة هذا كله ، وقعت يدى على هذا الكتاب « درة كتب التفاسير » واللمظة المضيئة على جهة التاريخ من تراثنا العملاق « فتح القدير » ، ومن خلال مطالعتى له ــ وترددى الكثير عليه ــ أحسست أن هذا الكتاب فى حاجة إلى عمل وجهد ، وإلى صبر وأناة ، حتى يمكن تنقيته من شوائب النساخ ، ومن بعض المآخذ التى فرضتها على مؤلفه طبيعة العصر ، وجمود الحركة العلمية ، وبعض الاعتبارات السياسية والمذهبية التى كانت تواكب الحياة فى عصر المؤلف .

ثم أراد الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يقشع عنا الغمة ، ويفرج الكربة ، ويرد عن عبده كيد الكائدين ويبطل تدبير الحاقدين ، ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ (٣) ، عندها كان القلم يضع اللمسات الأخيرة فى هذه الموسوعة « المعلمة » فهل يأتى الخير من الشر؟ ولم لا . .؟ « لقد قال مكحول : سمعت ابن عمر يقول: إن الرجل ليستخير الله تعالى فيخار له فيسخط على ربه ــ عز وجل ــ فلا يلبث أن ينظر فى العاقبة فإذا هو قد خيرله » .

فمن يدرى فلعل وراء المكروه خيرًا ، ووراء المحبوب شرًا ، إن العليم بالغايات البعيدة ، المطلع على العواقب المستورة ، هو الذى يعلم وحده ، حيث لا يعلم الناس شيئًا ، ولقد قال تعالى فى ذلك : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (٤) ، وقال أيضًا : ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (٥) ، وفى هذا المعنى قال أبو سعيد الضرير :

ربَّ أمر تتقيه ... جرَّ أمرًا ترتضيه

خفى المحبوب منه ... وبدا المكروه فيه

ثم ماذا ؟

أولاً : لقد كان جل اهتمامى ــ بعد مراجعة النسخ المخطوطة والمطبوعة ــ الأحاديث والآثار التى جاءت فى هذا الكتاب.

(١) الأنعام: ١١٢ . (٢) الأنعام: ٩١ . (٣) البروج: ٢٠ .
(٤) البقرة : ٢١٦ . (٥) النساء : ١٩ .

فعملت على تخريج الأحاديث والآثار ، واقتصرت على القدر الضرورى فى ذلك ، تفاديا لتطويل الكتاب وإثقاله بالحواشى .

ولكن الناشر ــ جزاه الله خيرا ــ رغب أن يتم تخريج جميع الأحاديث وكذلك الآثار ــ فيما يتعلق منها بالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والغيبيات ــ مهما كلفه ذلك من نفقة ووقت، فعهدت إلى لجنة التحقيق والبحث العلمى بدار الوفاء للقيام بهذا الجهد ، وكانت خطة العمل كالآتى :

١ ــ الأحاديث أو الآثار الموجودة فى الصحيحين للبخارى ومسلم أو أحدهما، فيكتفى ببيان مكانها منهما أو من أحدهما ؛ لأن المقصود الاطمئنان إلى درجة الحديث ، وذلك حاصل بعزوه إليهما أو إلى أحدهما .

٢ ــ وأما الأحاديث أو الآثار التى لا توجد فى الصحيحين ولم يشر المؤلف إلى درجتها من الصحة أو الضعف ، فيتم تخريجها ، والإحالة إلى المراجع التى توجد فيها إلا ما تعذر العثور عليه مع ذكر أقوال العلماء فى درجة الحديث إن وجدت .

وقد روعى عند العزو أو التخريج من الصحيحين وغيرهما ما يلى :

أ ــ مراجع التخريج المرقمة اكتفى فيها بذكر اسم الكتاب ورقم الحديث .

ب ــ وغير المرقمة اكتفى بذكر اسم الكتاب ــ إن وجد ــ ثم الإحالة إلى الجزء والصفحة .

٣ ــ وبالنسبة للأحاديث الضعيفة أو المنكرة ، اكتفى بالإشارة إليها إشارة عابرة فى الهامش ، وقد تكلمنا عليها فى المقدمة، مع التماس بعض الأعذار للشوكانى .

ثانيا : اهتممت اهتماما كبيرا بضبط الكلمات التى أرى أنها مظنة التحريف أو الخطأ عند النطق بها ، مع وضع علامات الترقيم كاملة ، والفصل بين العبارات والجمل المنقولة بحيث يستقل كل كلام عن غيره .

وتحقيقا لهذه الفائدة وضعنا الآيات القرآنية بين هاتين العلامتين ﴿ ﴾ ، ووضعنا القراءات وكذلك الأحاديث النبوية والآثار بين هاتين العلامتين « » ، والآيات التى استشهد بها تم نسبتها إلى سورها وترقيمها بين معقوفتين .

ثالثا : الأبيات الشعرية التى استشهد بها المؤلف تم ضبطها بالشكل ونسبت إلى قائلها إذا لم تكن منسوبة عن طريق المؤلف ، وقد أشرنا فى الهامش إلى مواضعها التى توجد فيها ، وقمنا بشرح الكلمات الغامضة فى أبيات الشعر ، وذلك بالاستعانة ببعض المراجع اللغوية مثل الصحاح للجوهرى أو لسان العرب لابن منظور .

رابعا : تم ترجمة الأعلام ترجمة وافية ، وبخاصة الأعلام التى لها باع فى علوم القرآن ، وأشرنا فى الهامش إلى المراجع التى أخذنا منها الترجمة ، سواء أكانت هذه الأعلام من

الشعراء أم المفكرين أم رجال الفقه والأصول ، مع تصحيح الأسماء من أوثق المصادر إن كان فيها بعض التحريف .

خامسا : كانت لنا بعض التعليقات فى الهامش ، إما تعجبًا من أثر ضعيف ، أو ورود بعض الإسرائيليات التى نقلها الشوكانى من كتب التفاسير السابقة ، ولم يعلق على بعضها بالقبول أو الرفض ، أو الإشارة إلى بعض النصوص للمفسرين السابقين .

سادسا : عهدنا إلى لجنة التحقيق والبحث العلمى بدار الوفاء للقيام بإعداد مجموعة من الفهارس العلمية اللازمة لتكون عونا للقارئ فى هذه الموسوعة الكبيرة ، وذلك بالعودة إليها لتحقيق طلبته .

سابعا : أثبتنا القرآن الكريم طبق رسم المصحف العثمانى على قراءة حفص ، وفى التفسير اعتمد الإمام الشوكانى قراءة نافع .

وبعد : يطيب لى أن أختم هذه المقدمة بما سبق أن قلته فى مقدمة كتاب « الفصل فى الملل والنحل » عند تحقيقنا له :

اللهم إنا نبرأ إليك من الحول والطول ، ونسألك التوفيق لما ترضاه من العمل والقول ، ونعوذ بك أن نتكلف ما لا نحسن ، أو نقول ما لا نعلم ، أو نمارى فى الحق ، أو نجادل عن الباطل ، أو نتخذ العلم صناعة ، أو الدين بضاعة .

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

غـــرة رمضـــان ١٤١٢ هـ

٤ مـــن مـــارس ١٩٩٢ م

أ.د . عبد الرحمن عميرة

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٢) الحشر : ١٠ .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية
والدراية من علم التفسير لمؤلفه
المولى العلامة شيخ الاسلام
محمد بن علي الشوكاني

طرة مخطوط دار الكتب المصرية

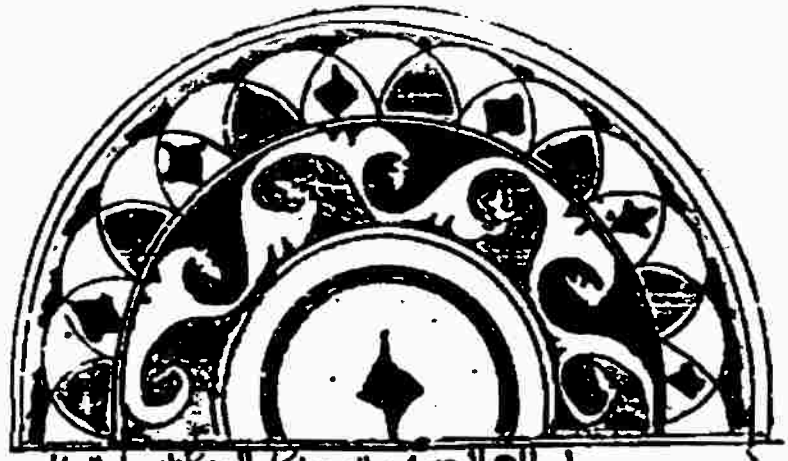

الصفحة الأولى من مخطوط دار الكتب المصرية

الصفحة الثانية من مخطوط دار الكتب المصرية

الصفحة الأخيرة من مخطوط دار الكتب المصرية